

التربية العربية الإسلامية بين الماضي والحاضر والمستقبل

(دراسة تحليلية)

Arabic Islamic Education between the past, the present,
and the future - Analytic Research-

د. خالد محمد أبو شعيرة

جامعة حائل



جامعة الأندلس
العلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

التربية العربية الإسلامية بين الماضي والحاضر والمستقبل (دراسة تحليلية)

الملخص :

التربية العربية الإسلامية المعاصرة، وذلك من خلال مجموعة من القضايا التربوية كان من أهمها الأهداف العامة للتعليم، والمؤسسات الثقافية، والعلاقات بين المؤسسات الثقافية والمجتمع، والمعلمين ذوي الثقافة والمعرفة، والعلاقات بين الأساتذة والطلبة، ومناهج التدريس، وطرائق التدريس، والثقافة الشاملة للجميع، والرحلة الثقافية الشاملة، واقتراح النظرية بالتطبيق، وقد كانت النتيجة الأساسية في هذه الموضوعات جميعها أن مجالات الاستفادة كبيرة جداً، وهي متنوعة في الوقت ذاته.

الكلمات المفتاحية: التربية العربية، تراث إسلامي، فكر معاصر.

هدفت الدراسة إلى إبراز التربية العربية الإسلامية المنشودة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وباستخدام المنهج النظري التاريخي المعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة من خلال الاطلاع على المراجع الأولية والثانوية والدراسات ذات العلاقة، سعت الدراسة إلى إيجاد توافق بين الأصالة والمعاصرة وصيغتها بالرؤية الإسلامية، كما أظهرت الدراسة أن المذاهب الإنسانية المختلفة سعت إلى وضع منهج تثقيفي تربوي يحقق للإنسان سعادته، لكنها تباينت في الوسائل المحققة له، كما أنها لم تستند إلى فكر موحد شامل كما هو الحال في التربية الإسلامية، وبيّنت الدراسة آفاقاً متعددة للاستفادة من الفكر الإسلامي، وتوظيفه في

Abstract :

This study aimed at clarifying the desired Arab-Islamic education that combine originality and contemporary using the theoretical and historical approach, which relies on the description, analysis, and comparison by sighting primary and secondary references and related studies. The study sought to find consensus between the originality and contemporary and dyeing it with Islamic vision. The study also showed that the different human doctrines sought to develop an educational and cultural approach that achieve happiness to human, but the differed in realized means to him, as they had not based on a unfilled and comprehensive thought as the case in Islamic education.

The study showed multiple avenues to take advantage of Islamic

thought and used it in the contemporary educational Arab Muslim culture through a range of educational issues including: the general goals of education, cultural institutions, the relations between these institutions and the society, teachers who have culture and knowledge, the relations between students and professors, education curricula, teaching methods, Comprehensive culture for all, comprehensive cultural journey, and the coupling of theory to practice. The main result of all these issues is a large variety of benefits at the same time.

(key word: Arab education, Islamic heritage, contemporary thought)

مقدمة :

لعل نظرة تأمل في الواقع التربوي الإسلامي المعاصر يفضي إلى الإقرار وفي ظل غياب التفاهم الكامل بين المسؤولين والمفكرين حول المسائل المرتبطة بطريفي إشكالية التذبذب بين الأصالة والمعاصرة أضحي مسرحاً لآراء ومقاربات متباينة في النهج والأسلوب، مع أن الهدف لديهم كان جميعاً تأسيس التربية العربية الإسلامية المنشودة، وهذه الآراء والمقاربات تتوزع في موقفين متباينين.

الأول: يرى أن بناء المشروع التربوي مشروط أولاً وأخيراً بالعودة إلى الماضي الحافل بتراث تربوي إسلامي خالد بحيث يستحيل بناء تربية بالمعنى المعاصر إلا إذا كانت مماثلة في مرتبتها التربوية العربية الإسلامية أيام إشعاعها وازدهارها، والثاني يرى أن تحديث التربية وتخليصها من أوضاعها المتردية يستوجب تقليد التربية الغربية جملة وتفصيلاً، والهروب إلى الأمام بدل الركون إلى الوراء، بمعنى التطلع إلى كل ما هو جديد بدل التشبث بكل ما هو قديم (آخرشواو، ١٩٩٤).

وهذا يؤكد أن الإنسان العربي المسلم يبقى متحيراً بين نظامين متعارضين للتربية: نظام تقليدي يتمسك بمقوماته وعناصره نخب تقليدية تقاوم كل ما هو حديث، وتدافع عن منجزات الماضي باسم الحفاظ على الهوية، ونظام يتشبث بمكوناته نخب معاصرة ويتمسك بما هو جديد يدافع عن كل ما هو عصري؛ فالفكر التربوي الذي يجب التطلع إليه هو الفكر الذي يبنى على التخطيط الاستراتيجي المشبع بروح التفكير العلمي المنتج، والمحكوم بمنطق التدبير التربوي الممنهج، إنه الفكر الذي يقوى فيه دور المجتمع بامتلاك المقومات التربوية المطابقة التي تتفاعل بين الذات والعالم قديماً دون أن تنعزل عما هو سائد في العالم، أو أن تفقد في الوقت ذاته خصائصها الذاتية، ولعل ما حصل مع علماء المسلمين في الماضي يعد دليلاً واضحاً على ذلك، ففي المناطق التي انتقل إليها المسلمون وجدوا ديانات وأفكاراً وحضارات قديمة، وقف المفكرون منها موقفاً مستتيراً، فاقتبسوا من النظم الإدارية والحكومية والفنية ما وجدوه ملائماً لهذه المناطق، وأخذوا من الأساليب الحضارية ما يتفق ونزعتهم إلى الرقي وبلوغ مستوى هذه الأمم في الحضارة وجوانبها المادية والدينية.

إن الفكر التربوي الذي نحن بحاجة إليه في التربية المعاصرة هو ببساطة ذلك الذي يجب أن يكون ملكاً للجميع وملكاً للإنسانية عامة، وقادراً على صياغة الوجدان وتطوير المعارف وصقل المهارات. وإذا كان هذا الفكر المشبع بروح العصر ومنطقه العالمي الجديد لا يمكن بلوغه إلا في إطار المزاوجة بين ما هو ذاتي أصيل، وما هو إنساني كوني، فإن هذه المسألة تصبح من الأمور المسلم بها؛ إذ لم يعد هناك أي مبرر واقعي يسمح للفكر العربي والإسلامي بالتفوق على نفسه أو الانغلاق على ذاته؛ لأنه حتى وإن أريد له ذلك فإن متطلبات العصر ومستجداته المعرفية والتكنولوجية لن تتوارى في إخضاعها لمنطق الانفتاح التربوي ومتطلباته العصرية، أضف إلى ذلك طبيعة الفكر الإسلامي الذي يعتبر منهجاً شاملاً للحياة يتضمن جانبين: جانباً ثابتاً وهو الجانب الذي يتعلق بالعقيدة و التصور الواضح للكون والإنسان والحياة، وجانباً آخر متطوراً يتصل بتفاصيل الأنظمة الاقتصادية والسياسية وبالجانب العلمي المستمر في تطوره وهذا يتفق مع طبيعة الإنسان الثابت المتطور (أبو شعيرة، ٢٠٠٧).

ويمكن القول، إن أصحاب المذاهب الإنسانية عبر العصور المختلفة كانوا جاهدين في أن يبينوا للإنسان أين تكمن سعادته؟ فمنهم من وجدها في العقل، ومنهم من بحث عنها في النفس، ومنهم من أرجعها للجسد، بمعنى أن بعضهم تمذهب بالمذهب الطبيعي، وبعضهم بالمذهب المادي، أو المثالي، أو الواقعي، أو الحسي، أو التجريبي، إلى آخر هذه المذاهب الإنسانية التي وضعت منهجاً تثقيفياً تربوياً يحقق للإنسان سعادته وكمالها، وهذه المذاهب _ وإن اتفقت في هدفها الإنساني - تباينت في الوسائل المحققة له، مما أدى إلى التشتت في دهايز الفكر، وإلى تقطيع ما يجب أن يوصل في عملية التثقيف التربوي المنشودة، فجاء المنهج بناء على ذلك متعدد التنوع، وإن كان ذا فائدة تتناسب ومقتضيات التطور والحدثة لكن فائدة مؤقتة، والدليل على ذلك الاجتهادات التي مازالت تقترح في هذا المضمار، وحتى هذه الاجتهادات خدم إلى حين أيضاً، ومن ثم يأتي من يطرح اجتهادات جديدة وهكذا دواليك.

إن نقطة التعدد والكثرة الواضحة في مناهج التثقيف والتربية الإنسانية هي نفسها التي ميزت منهج التثقيف التربوي العربي الإسلامي في الماضي، عندما استند إلى فكر موحد يدعو إلى الشمولية، ويرتفع بعملية التثقيف التربوي إلى مستوى الكليات الرفيع

في الوقت الذي لا يقف فيه عند حد التوافق مع المتطلبات العصرية، بل يتعدى ذلك كمنهج يفرض نفسه في كل زمان ومكان.

مشكلة الدراسة :

لقد كان للحضارة الإسلامية في عصورها الأولى مفاهيم في التثقيف والتربية تميزت بها، أما نحن اليوم فيبدو أننا شغلنا بالنقل عن ثقافات الآخرين إلى حد كدنا معه أن ننسى أنفسنا، حتى باتت من الضرورة البحث عن سبيل إلى نتاج فكري عربي إسلامي أصيل، يقف في وجه أهم الصراعات الفكرية التي يواجهها المجتمع العربي المسلم منذ اتصاله بالغرب الحديث، وهي الموازنة بين علوم الغرب الحديثة من جهة، والتراث الفكري الإسلامي من جهة أخرى، ومن هنا جاءت مشكلة الدراسات محددة بالسؤال الرئيس الآتي: " ما صورة التربية العربية الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل ؟".

أهداف الدراسة وأسئلتها :

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز بعض جوانب الفكر التربوي الإسلامي في نماذج مختارة من خلال تحليل مضمونها التربوي والتعليمي، بقصد الرغبة في المساهمة في الكشف عن بعض الجوانب المضيئة في تراثنا الإسلامي، من خلال التقيب عما أورده السلف من مفاهيم وأفكار ومبادئ تربوية، كان لهم قصب السبق بها، والتعرف على مواقع الاتفاق والاختلاف حول صورة التربية العربية في كل من الفكر التربوي الإسلامي، والفكر التربوي الغربي المعاصر وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الأربعة التالية:

١. ما هي منطلقات تطوير التربية الإسلامية؟
٢. ما الإطار الفلسفي للتربية العربية الإسلامية وملامحها؟
٣. ما هي صورة التربية العربية المنشودة التي تجمع الأصالة والمعاصرة التي يمكن الاستفادة منها في العالم العربي الإسلامي المعاصر؟
٤. ما هي مقترحات التجديد في التربية العربية الإسلامية والتي تعد موجّهات عامة للتغيير والمعاصرة؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

١. تظهر أهمية الدراسة من خلال عرضها لملامح التطور الذي رافق التربية والتعليم عند المسلمين من خلال إبرازها للمصادر التي تمد تعليمنا المعاصر بصيغ وتقاليد نمارسها على أنها مستحدثات تعليمية، دون أن ندري أنها عربية في أصولها، وجنسها، فقد أخذت مسميات جديدة لأسماء قديمة.
٢. تتطلع هذه الدراسة إلى بناء نظرية تثقيف تربوية تتبع من الذاتية الثقافية العربية الإسلامية في حركتها التاريخية نحو المستقبل، وتعين على تفسير ظاهرة التنمية التربوية في سياقها الاجتماعي والاقتصادي، وعلى تصويب اتجاه هذه التنمية نحو تقدم الإنسان العربي المسلم، باعتبار أن التربية - وهي أداة صنع الوطن والمواطن - لا بد أن تكون موضع تأمل وتقييم ومراجعة، وتلك أمور ليست غريبة عن مسيرة التثقيف العربي الإسلامي.
٣. تتطلع هذه الدراسة أيضاً نحو الإسهام في صياغة جديدة لعناصر فكرنا التربوي بحيث يصبح قادراً على مواجهة التحديات، يؤسس نظريته إلى الذات والواقع والمستقبل، ويتوخى تحديد الأهداف المستجدة المطابقة لروح العصر وسماته البارزة وإرساء قواعده على تصور شمولي قائم على التماسك والانسجام واستشراف المستقبل.

منهج الدراسة :

إن هذه الدراسة نظرية سيعتمد فيها الباحث المنهج التاريخي النظري مستعيناً بالوصف والتحليل والمقارنة، الذي يعتمد على جمع المعلومات من خلال الإطلاع على المراجع والدراسات ذات العلاقة المتعلقة بالتربية الإسلامية والعربية من منظور تأصيلي، وعقد مقارنة لبيان أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين الفكر التربوي الإسلامي، والفكر التربوي الغربي المعاصر، ثم استخلاص نظرية تثقيف تربوية تتجلى فيها أصالة الماضي وعراقته، مروراً بالواقع الحاضر واستشرافاً للصورة المستقبلية.

محددات الدراسة:

١. اقتصرت هذه الدراسة على ملامح للتربية الإسلامية منذ انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية وحتى بداية عهد الاضمحلال الثقافي والركود الفكري في مطلع القرن السابع الهجري.

٢. تناولت الدراسة قضايا تربوية متعددة وهي الأهداف العامة للتعليم، المؤسسات الثقافية، العلاقات بين المؤسسات الثقافية والمجتمع، المتعلمون ذوو المعرفة، والعلاقات بين الأساتذة والطلبة، ومناهج التثقيف، وطرائق التدريس، والثقافة الشاملة للجميع، والرحلة الثقافية الشاملة، واقتران النظرية بالتطبيق.

الدراسات السابقة :

فيما يتعلق بالدراسات والبحوث التي تناولت التربية العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل، فقد وجد الباحث أنها تعاني من ندرة في البحوث ذات الدراسة التحليلية المقارنة، إلى أن هناك كتباً تناولت هذه القضية بشكل مستفيض ويعرض الباحث أهم الدراسات ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة التي تمّ العثور عليها في الأدب التربوي، ومنها :

١. المسيري، عبد الوهاب (١٩٩٦) هدفت إلى بيان مجال التحيز ضد العربية في مجالات الفكر العربي المعاصر وفي ميادين التاريخ والفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وتوصلت الدراسة إلى أن حياة اللغة العربية المتصلة بتراثها المعهود قد ارتبطت في نسيج عضوي (نسق) مع النظام الإسلامي للحياة، بحيث يستحيل الفصل بين الحديث عن هذه اللغة وهذا النظام.

٢. (Rmzi,Abdulqader.1996) هدفت الدراسة استكشاف الأبعاد المفهومية للتربية العربية في إطارها الإسلامي، وتوصل الباحث إلى تحليل كل مجال من المفاهيم الإسلامية التي يقوم بها المجال في الحياة الإسلامية ومن خلال تحديدات مفهومية شملت على التوالي: سبعة وعشرين مفهوماً في مجال الإيمان الإسلامي، وستة وعشرين مفهوماً في مجال التربية الإسلامية، وثمانية وعشرين مفهوماً في مجال الحضارة الإسلامية، وقدمت ذلك في منظومة إسلامية شرطية لا تتحقق

كمنظومة فاعلة إلا في الواقع التطبيقي المتكامل، كما قدمت الدراسة أربعين توجهاً تطبيقياً كاستراتيجيات عمل للتربية الإسلامية تستكمل بها توجيه النشاطات التربوية القائمة في الوطن العربي نحو الوضع المنظومي للتربية الإسلامية.

٣. دراسة هاشم (٢٠٠٥) هدفت إلى تقديم فلسفة التربية العربية الإسلامية من منظور مستقبلي، من خلال الترابط النسقي (النظامي) في منظومة الثوابت الإسلامية التي تستند إليها هذه التربية، استخدم فيها الباحث المنهج التاريخي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن فلسفة التربية العربية الإسلامية واقع خصوصي يمكن تفعيله في الواقع، أن المنظور المستقبلي للتربية العربية يشق من منظومة الثوابت الإسلامية الإيديولوجية والثقافية والحضارية فهو منظور تربوي عربي إسلامي.

٤. دراسة بركات (٢٠٠٩) هدفت الدراسة تحديد مفهوم التربية الإسلامية بشكل عام ورصد دقيق لمراحل تطور الفكر التربوي عبر الحضارات البشرية المختلفة حتى الوقت الحاضر، استخدم فيها المنهج التاريخي، وتوصلت إلى أن العصر الحالي يتميز بعصر العلم والمعرفة والرجوع إلى الماضي والتغني بأجداد لن يجدي؛ بل يجب أن نتعامل ونتفاعل مع ثقافات وحضارات هذا العصر كما فعل أجدادنا قديماً، وأن نحاول قدر المستطاع تمثل ثقافات وعلوم هذا العصر وم ثم صياغة هذه العلوم بمنهجية جديدة تتلائم وظروفنا وحياتنا وقيمنا العربية، كي تسد الفجوة الحضارية التي تزداد اتساعاً بيننا وبين الحضارات العلمية الراهنة.

مناقشة نتائج الدراسة:

منطلقات تطوير التربية الإسلامية:

إن مفترق الطرق بين التربية الإسلامية وبين أنواع التربية الأخرى أنها تربية ربانية، وهذا يجعلها تتميز عن غيرها من التربيات كونها تستند على أسس ومسلمات إسلامية منها:

الوجود: وجهة نظر التربية الإسلامية إلى الوجود آتية من العقيدة الإسلامية التي ترى أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر هذا العالم وخالقه، وأن هذا العالم لم يخلق لمجرد

الخلق فقط لقوله تعالى: " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين، وما خلقناهما إلا بالحق، ولكن أكثرهم لا يعلمون " (الدخان، ٣٧_٣٨)

وتذهب الفلسفة الإسلامية إلى أن هذا العالم ليس ثابتاً وإنما قابل للتغيير والتبدل، وأن الكون بما فيه محدث من العدم، وأنه من صنع الله عز وجل، وقد أبدع الله في صنع هذا الكون الذي يسير وفق نظام لا يخطئ، إنما يدل على عظمة الخالق، وقد خلقه بحكمة ربانية ولم يخلق عبثاً .

المعرفة والمنطق : في الفلسفة الإسلامية، تصل المعرفة إلى الإنسان عن طريق الملاحظة والتجريب والتفكير، والتأمل والبحث وما هو واقعي وملمس في هذا الكون الفسيح لقوله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت " (الغاشية، ١٦_١٩)، وتوضح هذه الآيات الاتجاه التجريبي في القرآن الكريم الذي يعتمد على الملاحظة والتجريب بما هو واقع وملمس في هذا الكون الواسع الفسيح، وقد تجلّى هذا المنطلق واضحاً في بداية التعليم الإسلامي، فابن عبد البر(١٩٩٦) يؤكد لتلامذته: " أن التفكير والاعتبار أعمق أثراً في حياة الفرد المسلم "، ولهذا أثر تربوي تمثل في الدعوة لإعمال العقل والتفكير والجمع بين العلوم المختلفة؛ فالله سبحانه وتعالى زود الإنسان بنعمة العقل، ومنحه قدرات ذاتية ومكتسبة يتم التفاعل بينها باضطراد، فالعمليات البديهية التي يقوم بها العقل يمكن أن تتطور إلى عمليات تفكيرية معقدة إذا ما زادت بمعرفة الإنسان وازداد تطبيقه لها عن طريق الاكتساب والمران والتعلم، ولعل ما حققه علماء المسلمين من تفوق في علوم الطب والهندسة وكافة العلوم التجريبية يوافق ذلك.

الأخلاق : كثيراً ما تتحدث التربية الحديثة عن قوانين العمل وأخلاقياته، ولكن كان للإسلام قصب السبق في الحديث عن تلك الأخلاقيات، وقد تعددت الشواهد التي تحض على الأخلاق في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وآراء العلماء والمربين المسلمين، وحددت بعض القوانين لهذه الأخلاق منها: الأمانة والإتقان والإحسان.وقد أشار لذلك محمد نجاة الصديقي بقوله: " إن المسلمين الأوائل اتبعوا القول بالعمل في الزراعة وتربية الحيوان والصناعة والتجارة، وبذلك كانت نظرتهم وافية للمتطلبات المادية في إطار الأخلاق الفاضلة والقيم الروحية" (الخوالدة ٢٠٠٢).

مما سبق فإن منطلقات التربية الإسلامية هو الارتقاء بالإنسان المسلم من جانبيين : جانب روحي متعلق بالعبادة وجانب مادي متعلق باستخلافه في الأرض وتطوير الحياة فيها ، لتبليغ النفس الإنسانية كمالها الإنساني.

الإطار الفلسفي للتربية الإسلامية وملامحها:

نلاحظ أن الفكر الإسلامي يقوم على وحدة الخالق وعلى التوافق التام بين الروح والجسد وعلى الاعتقاد الراسخ بأن الإنسان خير بطبعه. والإسلام يدعو للوحدة والمساواة والتضامن ، والوحدة هي المحور الذي يرتكز عليه الفكر التربوي ، فوحدة الخالق نتج عنها وحدة الإنسانية ، وبالتالي تنتفي كل ألوان التفرقة لأن الخالق واحد ومحمد صلى الله عليه وسلم رسوله لكل الناس. والإنسان في الإسلام وحدة بين الروح والجسد لا فضل في مسعاه بين ما هو روحي وما هو مادي ، وعليه أن يراعي الله في كل مسلك في بيته وعمله ، وفي علاقاته الاجتماعية ، ذلك لأن الإسلام ليس عقيدة دينية فحسب ، ولكنه نظام اجتماعي متكامل يضطلع فيه كل فرد عاقل راشد بمسؤوليته أمام ربه (يوسف ، ١٩٨٤).

والإسلام لا يدعو الإنسان ليضطلع بهذا الدور في عشوائية ولكن بالسعي للمعرفة: معرفة الخالق ، ومعرفة الكون ، ومعرفة نفسه ، ثم يطالبه بتوظيف هذه المعرفة لخير البشر أجمعين. ثم إن الإسلام يحل العقل محل الصدارة. ولعله من المهم أن نلاحظ أن العلم انتشر بانتشار الإسلام وتطور على مدى العصور الإسلامية وبلغ ذروته في العصر الذهبي للإسلام (العباسي الأول) ، ثم بدأ يضمحل باضمحلال الدولة الإسلامية. الحياة (الكتاني ، ١٩٨٣).

ولقد كان للتشريعات الإسلامية والنظام الاجتماعي السائد في الدولة الإسلامية الأثر المباشر في خلق المناخ الصالح للعلم والتعلم ، فكانت النتيجة انتشار المعرفة دون قيود أو حدود ، اللهم إلا حدود الالتزام بقواعد الإسلام وشعائره. ولقد تجسد ذلك في حقيقة هامة هو أن المسجد هو أهم مقر للعلم والتعليم كان دائماً مفتوحاً لكل المسلمين للعبادة والعلم والشورى ، لا تغلق أبوابه أبداً ، فهو بيت الله " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً " ، فكانت مصادر العلم ومنابر تحيط بالإنسان من كل مكان

وكان ارتيادها ميسوراً، والإفادة منها تنزل منزلة العبادة وتعد كسباً في الدارين، فبرزت نتيجة ذلك ملامح للتربية الإسلامية كان من أبرزها:

١. حرية الاختيار بمعنى أن الدارس الراشد له الخيار من حيث الموضوع ومن حيث الزمان والمكان وفق حاجاته ووفق قدرته العقلية وظروفه الاجتماعية. ومن الشواهد على ذلك قول المستير لأولاده: "قد أكثرت عليكم في الأدب ولا أراكم تفلحون فيه، فليؤدب كل رجل منكم نفسه، فمن أحسن فلها ومن أساء فعليها" (غانم، ١٩٩٩).

٢. كانت الأبواب مفتوحة؛ بمعنى أنه لم تكن هنالك شروط أو قيود للالتحاق بالتعليم أو تركه، كما أن النظام التربوي لم يعرف مسألة الشهادات، ولم يعرف الارتباط الهرمي المتعسف بين المراحل الدراسية المختلفة، وحتى عندما ابتدع نظام "الإجازة" كان مرتبطاً برواية وتعليم الحديث النبوي الشريف، وكان الهدف من وراء ذلك التدقيق في الرواية صوتاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من عبث العابثين وتحريف المحرفين (غانم، ٢٠٠٣)، ولم تكن الدراسة مرتبطة ببرنامج زمني أو كم من المعلومات بل أن المرونة كانت الطابع المميز للتربية الإسلامية من حيث المنهج والأسلوب. ويمكن القول: بأن الاهتمام كان بالدرجة الأولى تطوير القدرة العقلية لدى الدارسين.

٣. كانت التربية بالنسبة لليافعين والراشدين متزامنة مع العمل لكسب قوتهم، ينقطعون عن الدراسة أحياناً ويعودون إليه أحياناً أخرى، وكان العلماء يجمعون بين التدريس والعمل، خاصة من يعملون منهم في مجال التجارة والحرف. فقد كان أبو حنيفة يبيع الحرير في سوق بغداد، وأخذ النظام والعلاف اسميهما من حرفتيهما وغيرهم كثيرون (أبو شعيرة، ٢٠٠٦).

٤. كان الأستاذ مرجعاً موسوعياً لا "معلم مادة" أو معلم فصل" وكان لا يجلس لتعليم الناس إلا من ذاع سيطه وأثبت قدرته على التجديد الفكري. وكان الاتجاه الموسوعي سائداً بين العلماء. وكان شيئاً مألوفاً أن يقترن اسم عالم واحد مثل الكندي (٨١٠م - ٨٦٦م) بالفلسفة والكيمياء والطب والرياضيات والفلك والشعر

والنثر واللغات بما في ذلك "الإغريقية والسريالية" وقل مثل ذلك في ابن سينا والرازي وابن رشد وغيرهم (كتوت، ٢٠٠٣).

٥. كان التطوع يمثل جانباً مميزاً للعمل التربوي وكان الدافع من وراء ذلك الإيمان بفضل العلم والاقتناع بضرورة نشره، فالعلماء الذين وهبوا حياتهم للعلم والتعليم والدارسون الذين كانوا يسافرون من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق والمغرب إلى بلاد الهند والصين في ظروف شاقة، كانوا يفعلون ذلك بدافع شخصي ينبع من عقيدة راسخة، فلم تعرف الدولة الإسلامية ديواناً للتربية، ولم تكن للتربية شريحة مالية في موازنة الدولة، ولم تخصص "للمعلمين" رواتب من الخزينة العامة، بل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه _ عندما أنشأ الدواوين وضع أسس الإدارة للدولة الإسلامية لم ينشئ ديواناً للتربية ذلك لأن نشر العلم كان مسؤولية الجميع شأنه شأن العبادات. وقد نتج عن هذا الاتجاه حرية في الأداء وتنوع في المحتوى وتأكيداً لمبدأ المشاركة والمسؤولية (الرشدان، ١٩٩٣).

إن الحرية والمرونة اللتان امتازت بهما التربية الإسلامية في إطار النظام الاجتماعي السائد نتج عنهما قيام نظام منفتح ومتجدد، ولكنه في الوقت ذاته، يرتبط بجذور فكرية هي مصدر قوته واستمراره وتماسكه. هذه الجذور الفكرية مردها إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهما مصدرا التشريع. فلم تكن المسألة عفوية، بل إن ارتباط التربية بمصادر التشريع كان سر قدرة النظام التربوي على استيعاب ذلك التنوع الهائل في الحضارات التي احتواها الإسلام، لاسيما الحضارات الكبرى مثل الهندية والفارسية والإغريقية، واستطاع الفكر التربوي الإسلامي أن يستوعب التباين الفكري بين الجماعات داخل الدولة الإسلامية نفسها بدرجة كبيرة جداً، هذا التنوع في الأفكار والمصادر الحضارية اقتضى تنوعاً ومرونة في النظام التربوي (عاشور، ١٩٦٣).

٦. صورة التربية العربية الإسلامية المنشودة التي تجمع بين الماضي والحاضر والتي يمكن الاستفادة منها في العالم العربي المعاصر.

إذا كانت فلسفات التربية المعاصرة تهتم بالفرد وتدور حوله رغم ما بينها من تفاوت في الوسائل والأساليب والرؤى فإنها جميعاً تلتقي على ضرورة الاهتمام به وتميمته تنمية شاملة لاعتبارات مختلفة، ومحاولتها توفير الأمن والطمأنينة والاستقرار للفرد، والتقدم والازدهار للمجتمع، بينما نجد الهدف في فلسفة التربية الإسلامية يتناقض معها كونه قائم على العقيدة التي منها تتبع كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والإنسانية، تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتربوية والتي تؤثر في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني (كايد، ٢٠٠٥).

والناظر في واقع الفكر العربي خصوصاً والإسلامي عموماً في يومنا الحاضر يلاحظ أنه عبارة عن سلسلة من المحاولات الهادفة إلى الوصول إلى موقف معين أو تحديد رؤية ما، ويواجه مجموعة من النزاعات الفكرية المتعددة ويقف أمام مجموعة من المحددات الثقافية والسياسية المختلفة إضافة إلى الفجوة الكبيرة القائمة بين الماضي والمستقبل المنشود؛ فالماضي أصبح غريباً عن الواقع المعاش، والفكر الغربي الذي يحظى بحضور بارز في منظومتنا التربوية لم نعش بداياته أو مراحل ارتقائه وتطوره فأصبح هذا الفكر خليط تتقاطع فيه أفكار الماضي وتراثه وبعض التصورات المنقولة عن الفكر الغربي (الجابري، ١٩٨١).

والحقيقة أن هناك تبايناً في آراء المفكرين في يومنا الحاضر للخروج من المأزق والوصول إلى تصورات وأفكار ملائمة للعصر قادرة على مواجهة التحديات الجديدة، فهناك موقف دعاة الأصالة والمحافظة على الموروث الثقافي والفكري الحافل بالنظريات والاتجاهات التربوية القيمة، وضرورة الرجوع إلى الماضي بقصد إحيائه وبعث مضامينه من جديد وبهذا يمكن الوصول إلى المكانة المطلوبة، وهناك موقف دعاة المعاصرة والأخذ عن الغرب عن طريق استبدال كل ما هو قائم من لغة وبرامج محلية وخبرات وأدوات؛ فالمطلوب في نظرهم تقليد الغرب ومحاكاة فكرهم التربوي وممارساتهم التربوية .

وفي سبيل ربط الماضي بالحاضر والانتفاع من كليهما سيتعرض الباحث إلى أهم المحاور والأطر التربوية التي جاء بها الفكر الإسلامي، والتي يمكن الاستفادة منها في

العالم العربي الإسلامي المعاصر، حيث سيتم عرض تلك المحاور بنظرة تراثية معاصرة من خلال ما يلي:

إطار الأهداف العامة للتعليم :

يشيع في العصر الحاضر أن نظام التعليم روح وضمير، كالكائن الحي له روح وضمير، وإن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسياتهم، وغايتهم وأهدافهم من العلم ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر أخلاقهم، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة، وروحاً وضميراً بذاتها، وإن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً، إنها تسري في جميع العلوم في الآداب والفلسفة والفنون والعمران، حتى في الاقتصاد والسياسية بحيث يصعب تجريدتها من هذه الروح (الندوي، ١٩٨٢).

وانطلاقاً من التراث الفكري الإسلامي، فإن الإنسان لم يخلق عبثاً ولا صدفة، وإنما حدد له خالقه العظيم وقبل نفخ الروح فيه مهمتي خلافة الأرض وعمارتها، رسالة محددة غائية واضحة، فلقد كان هذا المستخلف حراً بغض النظر عن دينه وجنسه وقوميته ولونه وشكله، فهم لا يتميزون إلا بعملهم الصالح، ومقدار نفعهم للناس، وبالتالي فإن الفكر الإسلامي يحدد للإنسان غايات خلقه ووظيفته في الحياة، ابتداءً بشخصيته وانتهاءً بإنسانيته، ومروراً بأسرته ومجتمعه، فالأهداف التعليمية كما يقول الكيلاني (١٩٩٦): "لا يمكن تحديدها من غير اتفاق على فلسفة تربوية، ولا تنبثق الفلسفة التربوية إلا من رؤية كلية شاملة للحياة والإنسان والكون والمنشأ والمصير المختلف عن تصور الغرب ومنطلقاته؛ فالفكر الإسلامي يعد جيلاً من طلاب العلم ينظرون ويدققون وينتقدون ويستفيدون، فهم لا يقلدون ولا يستسخون ولا يحاكون".

فعندما ترسم التربية الأمريكية وظيفته الفرد، بإشباع رغباته وإعداده للحصول على ما فيه مصلحته، فإن هذه الرغبات إنما هي (الفضائل) المطلوبة بحد ذاتها، كما توضحها فلسفة ديوي البراجماتية، التي حصرت الأهداف التعليمية في الوسائل دون الغايات، وتوجيه التربية للإعداد الوظيفي وزيادة الإنتاج واستهلاكه. يعلق (١٩٨٢) White على هذه الغائية التربوية بأنها تقتل عند الأفراد روح المسؤولية، وأنه سوف لن يتعلم شيئاً إلا إذا استطابته أحاسيسه ومشاعره. فمثل هذا الإنسان مجرد دوافع وقوة

وغرائز وانفعالات، وهي مصدر كل سلوكه، وعقله نتاج مادي ثانوي؛ وهو ليس بأكثر من إنسان (خاضع) عند "سكنر"، أو (مبرمج) عند "لورانز"، أو (منفصم) عند "فرويد".

وكما سبق فمثل هذا الإنسان غير الإنسان الذي تريده التربية المستندة على فكر تربوي إسلامي، فالمواطن الصالح عندهم غير (إنساناً) الصالح الذي خلق لوظيفة الخلافة في الأرض وعمارتها، والسير والتدبر فيها، واستتباط سننها وقوانينها، وإتاحة الحق والقسط والمساواة بين أهلها.

ويرى علماء التربية المعاصرة أن الهدف الأوحد للتربية، هو نمو الإنسان من جميع النواحي العقلية والجسمية والروحية والاجتماعية، وأن الزيادة الكمية في النمو ليست هي معنى النمو الذي تهدف إليه التربية اليوم. والواقع أن النمو بجميع جوانبه وسيلة لتحقيق المثل العليا التي تؤمن بها الأمة (النجلاوي، ١٩٩٠). وإذا ما تم إلقاء نظرة إلى التربية الأوروبية فإن أول ما افتقدت مثالها السليم وقودتها الحسنة، لأن الفرد وجه لذاته دون غيره أو أمته من ناحية، ودون السلوكيات والأخلاقيات المطلوبة من ناحية ثانية حيث ترك للفرد من خلال دفعه إلى إشباع رغباته، وسلوك ما يشاء شريطة ألا يقع تحت طائلة القانون، وحتى في سلم الحاجات لماسلو، فإن قمة الهرم تحدد بتحقيق ذات الفرد كفرد، في الوقت الذي نجد فيه أن قمة الهرم المنشود وحاجاته للتربية في الإسلام على نحو ما تمثلته التربية الإسلامية في العصور الزاهرة، هو خلق الإنسان الجيد الخير السليم، الذي عبد الله حق عبادته يبني نفسه بناءً على أوامر الشريعة ليعزز بذلك إيمانه بالله، إضافة إلى تضحية الفرد بنفسه وماله من أجل أمته وشعبه دفاعاً عن أرضه ووطنه وشرفه (العمشة، ١٩٩٧).

وبإلقاء نظرة مقارنة بين هدف التربية الإسلامية هذا، وهدف التربية عند الغرب يلاحظ أنهما يتفقان في أشياء ويختلفان في أشياء، فالتربية عند الغرب والتربية في الإسلام تؤكدان على ضرورة تنمية المجالات المعرفية والوجدانية والمهارية، ولكن الاختلاف أن الهدف الغربي علماني؛ إذ لا يولي توطيد العلاقة بين المدارس وربه أية اهتمام، بعكس التربية الإسلامية تماماً إذ لا انفصام أبداً بين الدين والعلم، كما أن التربية الإسلامية تعمل على خلق الرقابة الداخلية في ذات الفرد ليكون رقيباً على ذاته

محاسباً إياها على منكر عمله، واقفاً متأملاً لكل ما صدر عنه في يومه، رقابة داخلية مستمرة من ضمير حي، وسلم قيمي أخلاقي يعيش كل وجدانه وعقله، وذلك يغيّر التربية المعاصرة الغربية التي تعتمد على رغبات الفرد وامثاله للقانون، فجعلت من القوانين السلطة النهائية المحددة لرغبات الفرد وشهوته.

ولا شك أن الفيضان التربوي الغربي قد ترك على شواطئ التربية العربية الإسلامية المعاصرة طبقة سميكة من الطمي لا تصلح إلا لزراعة البذور الغربية العلمانية والعلمية والتجريبية، ولكي تبنى الأهداف التعليمية الإسلامية المستمدة من الفكر الإسلامي، فلا بد من إزالة هذه الطبقة التي لا تسعى إلا لتربية الفرد لفرديته، وتوجيهه لمصالحه ورغباته ابتداءً بتحقيق حاجاته الفيزيولوجية المباشرة، وانتهاءً بتحقيق ذاته مروراً بحاجات أمته واحترام الآخرين له، ومثل هذه التربية يسميها الكيلاني (١٩٩٧) بثقافة "العمل والاستهلاك". وقد ظهر واضحاً مما سبق ضرورة ملائمة نظام التعليم للتراث الثقافي والديني للأمة، حتى لا تتضارب أهداف التعليم العامة والخاصة مع الأهداف العامة للأمة الإسلامية، التي تتمثل في عبادة الله حق عبادته عن طريق معرفة العلم حق المعرفة، أو لنقل إنها عمل أخلاقي يقصد أولاً وأخيراً إلى تنمية الفرد إلى أفضل ما يكون وليس من المغالاة القول: أن أهداف التربية الإسلامية مفصلة ومبينة في القرآن الكريم من جهة، والسنة النبوية من جهة أخرى، ولعل الآية القرآنية التالية توجز أهداف التربية الإسلامية التي كانت متمثلة حق التمثيل في المجتمع الإسلامي، يقول عز وجل: "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (الجمعة، ٢) وتتأكد هذه الآية في الجوانب الآتية:

١. التأكيد على جانب الإيمان بالله وبآياته.
٢. التأكيد على تزكية النفوس والإعداد للدنيا ومستلزماتها.
٣. التأكيد على طلب العلم دون تمييز نوع عن آخر.

ويمكن استخلاص أولويات أهداف التربية العربية الإسلامية المعاصرة، التي تتبع من ملامح الفكر التربوي الإسلامي في عصوره الزاهرة. والتي تقوم على خمسة مرتكزات هي:

١. استثمار التراث العظيم للأمم من غير اجترار.
٢. بناء سلم قيمي جديد ينشأ الأطفال عليه، لبناء شخصية جديدة تملك حرية القرار وروح العمل وواقعية البناء.
٣. دخول معترك العلم والعمران والتقنية الحديثة بكل إنجازاتها وتفصيلاتها.
٤. تقديم فكر تربوي إنساني جديد قوامه الوحي والوجود، وغايته الإنسانية جمعاء، وذلك بهدف إعادة صياغة النموذج الذاتي المرتكز على الفكر التربوي الإسلامي، ليكون مواجهاً للنموذج العلماني الغربي.

يجب أن تركز أهداف التربية في البلاد العربية والإسلامية على الجوانب الدينية والخلقية والتثقيفية والاجتماعية والدينيوية والعقلية، والدعوة إلى تلقي العلم، والحرية الفكرية، بصرف النظر عن المادة التعليمية التي تدرس أو تعلم، سواء أكانت في الجانب الإنساني أم العلمي. ووفق تلك المرتكزات والأهداف ينشأ جيل ربيّ تربية علمية عملية، غنية طبيعية، متفتحة الذهن، محبة للاستطلاع، مدفوعة للإبداع والابتكار، متقبلة للنقد الذاتي، بحيث يصبح هذا الجيل قادراً على المحاوراة والاستماع وإبداء الرأي، وغير متعصب أو متحيز، موضوعياً في فكره، عاشق للحرية الملتزمة، ومدافعاً عن حقوقه كاملة، لا يخضع إلا لسلطان الحق والعدالة والموضوعية والعقل والمنطق.

وفي ظل ما يشهده العصر الحالي من تغيرات اجتماعية سياسية واقتصادية وتقنية (تكنولوجية) فإنه يجب أن يهدف الفكر التربوي العربي الإسلامي في هذا المجال نحو:

- أ. التأكيد على بناء الهوية الذاتية الإسلامية على المستويين الفردي والاجتماعي وبناء الثقة بالذات.

ب. تأهيل المتعلم للانفتاح الذكي والواعي على المستجدات والأحداث السياسية والأيدولوجية المختلفة ودراستها، وتحليلها بعمق وتكوين مواقف مبدئية إزاءها، وتأهيله للمشاركة في إدارة المجتمع وتميمته.

ج. إشاعة قيم الحوار العلمي، وتقبل الآخر، كقيم بديلة للتعصب الفكري والانغلاق.

المؤسسات الثقافية :

لقد كانت المؤسسات الثقافية تحيا حياة علمية كاملة نابعة من الفلسفة الإسلامية للتعليم المنبثقة من القرآن والسنة، وحاجات المجتمع الإسلامي. وقد أخذت هذه المؤسسات على عاتقها مهمة تثقيف العامة وإعدادهم لحياة دنيوية وأخروية أفضل؛ فالمنزل والمسجد والمكتبة والجامعة مثلت العصب الحساس للحياة الفكرية في العهد الإسلامي الأول، فبين جنباتها نمت العلوم الإسلامية وتطورت، وبينها كذلك رسخت أصولها وامتدت فروعها، وإليها يرجع الفضل بما وصل إلينا من تراث علمي ضخم. ومع تعدد المؤسسات الثقافية والتربوية الإسلامية ستحاول الدراسة الوقوف عند كل واحدة منها؛ لتوضح كيفية الاستفادة منها في التعليم الإسلامي والعربي المعاصر.

المنزل: لقد اتضح من خلال النموذج الإسلامي لدور المنزل، أنه يلعب دوراً أساسياً في التكوين الخلقي والفكري والعلمي للطفل، فإن كان الأساس متيناً كان البناء محكماً ومتماسكاً، وإن كان هشاً فإنه سيؤول إلى الانهدام، أو إلى التصدع على أقل تقدير؛ هكذا يكون الدارس والطفل بين أفراد بيئته وعائلته؛ فصلاحه مربوط بصلاحتهم ونجاحه مربوط بنجاحهم، وفشله كذلك مربوط بفشلهم في أغلب الأحيان، وقد كان حرص التربية الإسلامية عظيماً في تحسين مستوى الدارس الخلقي والفكري ابتداءً من المنزل.

وعند الحديث عن حال المنزل حالياً في أغلب البلدان العربية والإسلامية يتضح أن دوره لم يعد كما كان في السابق؛ إذ إن العلمانية حاولت وما تزال تحاول إخراج وظيفة المنزل عما هي عليه في الفكر الإسلامي، وهي كما صورها القرآن الكريم والسنة النبوية تعد غاية من غايات الشرع الإسلامي، فهم يريدون دفع الأم إلى خارج

المنزل بحجج واهية كثيرة، لتتنازل عن تلك المهمة النبيلة التي تقوم بها، من تربية الأطفال الصغار خلقياً وفكرياً، فالأب مشغول بكسب قوت عيش أولاده والأم خارج البيت، فمن سيقوم بالدور المنزلي تجاه الأطفال؟ ويعقب جريشة (١٩٦٨) بقوله: "إن الإسلام - وإن دعا المرأة إلى العلم والتعلم، والخروج من المنزل عند الضرورة - لكنه ندبها في العموم أن تفر في البيت؛ لترعى هذا الصرح الكبير، وترعى ما فيه".

والملاحظ للواقع الإسلامي يجد أن هذه التوجهات نجحت إلى حد كبير في إيجاد انفصام كبير بين المنزل والمؤسسات التربوية والثقافية الأخرى؛ فقد أصبح كثير من الآباء والأمهات يعتقدون أن وظيفة المنزل هي إعداد الطفل جسدياً حتى السادسة من عمره لتتسلم راية المسؤولية في تربيته الجسمية والخلقية والفكرية المدرسة، والكلية؛ فالجامعة.

إن العودة إلى إدراك رسالة البيت، كما كانت عليه التربية الإسلامية، هي السبيل إلى الارتقاء بالتربية في أشكالها المتعددة في الواقع المعاصر، ولعل هذا التقصير في دور الإعداد لما قبل المدرسة يعد من الأسباب التي عملت على تأزيم التربية في البلاد الإسلامية، ومنها العربية بوجه الخصوص، أكثر فأكثر؛ لذلك فإن من واجب الفكر التربوي الإسلامي المعاصر إعادة دور البيت ليقوم بالإعداد والتنشئة الخلقية والفكرية للطفل، وعدم الاكتفاء بما تقدمه المؤسسة التربوية خاصة المدرسة الابتدائية؛ وذلك من خلال المتابعة عن طريق التوعية والنشر التي تقدم من خلال هذا المضمار.

المسجد: لقد كانت المساجد والجوامع منبع الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية في المجتمع الإسلامي، ومن الملاحظ أن دور المسجد في العصر الحالي، لا يقوم بكل المقاصد التي من أجلها أنشئ، إذ تقتصر مهمته اليوم على إقامة الصلوات، وإلقاء الخطب في الجمعة والأعياد، وفي بعض الأحيان تلقى بعض الدروس الدينية التقليدية، ويعتقد الباحث الدباغ (١٩٩٥): "أن سبب تخلف المسجد عن القيام بدوره القديم في التربية الإسلامية" يعود إلى :

أ. غفلة المسلمين بين المؤامرات الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى بتحويل الشباب من المساجد إلى الأندية والمسارح وغيرها.

ب. عدم تطبيق الإسلام في مجالات الحياة المختلفة ومسايرة الغرب في فصل الدين عن الدولة.

ج. ضعف العلماء والأئمة والمدرسين والوعاظ والمرشدين بالنهوض بالتعليم المعرفي والشرعي في المسجد.

د. استبعاد التعليم من المساجد وإيكاله للكليات المختصة.

وانطلاقاً من واقع المسجد وتصوره الحالي في المجتمعات الإسلامية، يتطلب أن يكون التعليم في مستوى الطموح، وينبغي أن تعاد للمسجد مهمته الرئيسية الأساسية التي أنشئ من أجلها، وهي أن يكون المسجد مدرسة ومعهداً، وجامعة لتخريج القادة والمربين والمجاهدين والعلماء العاملين، والدعاة المخلصين، والأساتذة الدؤوبين، القادرين جميعاً على مواجهة تحديات العصر بعقلية واعية وذهنية تستوعب مشكلات العصر (الديباغ، ١٩٩٥).

ويذكر النجار (١٩٩٥): أنه لا بد من العمل على إحياء رسالة المسجد من جديد، ليعود كما كان حتى الماضي القريب، مكاناً للعبادة، ومدرسة لتعليم الناس القراءة والكتابة، وتحفيظهم كتاب الله، وجامعة شعبية مفتوحة تعقد فيها حلقات العلم التي يحضرها الناس بدون أية شروط، وتدار فيها المحاضرات والمناقشات العلمية على مختلف المستويات، ومجلساً للشورى، ومنتدى إسلامياً، ودوراً للقضاء وداراً لضيافة الوفود، وملجأ لمن لا ملجأ له، فالمسجد في هذه الصورة يربط بين أفراد المجتمع الواحد برباط وثيق، ويؤكد على معنى الأخوة بين الناس، وعلى ضرورة التعاون بينهم. إن تحقيق تلك الغايات المرجو إعادة تطبيقها في رسالة المسجد تستدعي أن يوضع التصميم الهندسي لأبنيته، لتحقيق هذه الوظائف لهؤلاء الناس، كما يخطط لتنظيم الحياة فيه تنظيمًا متفقاً مع هذه الوظائف، وخواص الفئات التي يتعامل معها راشدين أو ناشئين فيحتاج الأمر إلى العناية بالإمام والخطيب والمدرس، وتدريبهم وإعدادهم إعداداً علمياً جيداً، يمكنهم من أداء المهمة المنوطة بهم على أحسن وجه، كما يحتاج

الأمر إلى إعداد تربوي ونفسي، إلى جانب الإعداد الديني والإشراف على المسجد ومنهم:

- موجهون دينيون متخصصون في التعليم الإسلامي.
- نفسانيون لتوجيه الناشئة وإرشادهم، ومد يد العون النفسي لمختلف الفئات التي تفد إلى المسجد.
- موجهون اجتماعيون يتولون توجيه الأنشطة الاجتماعية في داخل المسجد وخارجه، والإشراف على مشروعات خدمة البيئة والتنمية الاجتماعية لها.
- متخصصون في التربية الرياضية (عثمان، ١٩٧٢).

ويعتقد الباحث أن المسلمين في أحوال ما يكونون في العصر الحالي إلى الأخذ بإحياء رسالة المسجد؛ لأنها لا ريب ستقوم بحل الكثير من المشكلات التي استعصى حلها باستبعاد الرؤية الإسلامية لحلها؛ فالمسجد كما صورته التربية الإسلامية بشكل عام، ما هو إلا العلاج الشافي للأزمات الإسلامية المتلاحقة.

المكتبات: كان إنشاء المكتبات والاهتمام بجمع الكتب من القضايا التي أدركها المسلمون منذ وقت مبكر، حيث لا تكاد تخلو مؤسسة تربوية من مكتبة تضم بين جنباتها مئات بل ألوفاً من الكتب المتعددة الأصناف والألوان. وقد تعاضدت الجهود الرسمية في هذا الأمر مع الجهود الفردية، لذلك أحوالنا التاريخ الإسلامي على عشرات المكتبات العامة والخاصة، ومن دواعي الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي العريق أن تجد المسلمين قد حققوا قصب السبق في إنشاء المكتبات قبل النهضة الأوروبية؛ فبريطانيا لم تعرف المكتبات إلا في وقت قريب جداً، كما أن أمريكا لم تبلغ الصدارة في النهضة المكتبية إلا في القرن المنصرم.

وهذا يستدعي إعادة النظر في التراث التعليمي الإسلامي، حيث إن انتشار المكتبات ودور الكتب له إسهامات فعالة في تطوير الحركة الثقافية والتعليمية العلمية، وقد أخذ الغرب عن المسلمين هذه السمة فتقدم وتطور وازدهر، بينما تراجع المسلمون عنها، مما أدى إلى تخلفهم وازدهار الغرب، فالنظريات اللغوية والأدبية والعلمية مصدرها الغرب؛ لأن المكتبات ودور العلم توفر له كل ما يحتاجه من وسائل

البحث والدرس. أما المسلمون في الوقت الحاضر، فلا يقتصر النقص عندهم على مجال البحث والدرس فقط، بل يمتد إلى كتب التعليم ومواده نفسها، مما يؤخر العملية التعليمية وفشل النظام التربوي. وتشير أدبيات الخدمة المكتبية، أنه يتطلب وجود مكتبة عامة لكل مائة ألف من السكان (العمسة، ١٩٩٧)، وهذا لا يتوفر في كثير من الدول العربية والإسلامية. ويجدر بالبلاد العربية الإسلامية تعميم المكتبات على جميع قطاعات الشعب ومؤسساته، وتزويدها بالكتب الحديثة والبرامج المتنوعة والأنشطة المكتبية كي نواكب التطور الحضاري السريع، أسوة بما كان عليه الأجداد في العصور الغابرة المزدهرة.

ودون التجوال في متاهات استحضار مقومات الفكر التربوي وأسس الفلسفة المعاصرة، يمكن الإقرار بأن التربية المعاصرة هي تربية المؤسسات والمبادرات الجماعية، بحيث يوظفها سياق اجتماعي واسع ويمولها محيط مدني عريض أو ينشرها مجتمع بأكمله؛ فالدولة بمفهومها المعاصر هي التي أضحت تقف وراء نجاح أي مشروع تربوي هادف، كونها هي التي تدعمه (العروري، ١٩٨٣).

في حين يرى الباحث أن المؤسسات الثقافية الإسلامية التراثية كانت مؤسسات الأفراد والمبادرات الشخصية، بحيث أشرف عليها ومولها أفراد معدودون دون أن يوظفها سياق اجتماعي واسع ويمولها محيط مدني عريض، فالدولة لم تكن تهيئه وتدعمه وتموله بشكله العام، وإن كان هناك حكام أشرفوا ومولوا المؤسسات الثقافية، بحيث فاقت تلك المؤسسات كثير من المؤسسات الثقافية في الوقت الحالي.

وعليه يبدو أن انتشار الفكر التربوي وتوغله في الوطن العربي والإسلامي، يستلزم الانتقال إلى العمل التربوي الجماعي، الذي يهتم به ويشارك فيه أفراد المجتمع جميعاً، بمعنى الاتجاه نحو النشاط الذي يحكمه سياق اجتماعي ثقافي ويوظف مناخ تربوي وتعليمي يتواصل فيه الناس بسهولة وتتجه فيه اهتماماتهم نحو الابتكار والإنتاج. والمهم ليس توجيه الجهود إلى إنشاء المؤسسات الثقافية العلمية التربوية، بل الأهم ما تعتمد تلك المؤسسات من مضامين معرفية وأساليب تربوية، فإذا كانت محدودة الغايات والأهداف ترجع كفة ما هو ترفيهي على ما هو هادف، وما هو خرافي استهلاكي على ما هو إنتاجي، أصبحت عائقاً أمام إنتاج المعرفة التربوية واستثمار نتائجها،

وبالتالي يعسر الاستعداد والقابلية للدخول بالإنسان العربي والمسلم إلى عصر الإنتاج التربوي الثقافي الذي يشكل المطلب الحاسم لكل تقدم ثقافي حضاري.

العلاقات بين المؤسسات الثقافية والمجتمع:

مثلت التربية الإسلامية بأحسن تمثيل من خلال ارتباط المؤسسة التربوية بالمجتمع من ناحيتين الأولى: ارتباط المعلمين أو المدرسين القائمين بمهام التدقيق والتعليم بأبناء المجتمع، والثانية تفاعل الطلبة الملتحقين بجهاز التعليم بأفراد المجتمع وارتباطهم بهم، أما على مستوى الطلبة، فقد كانت مشاركتهم في فعاليات الحياة متنوعة أيضاً، فمنهم من أهله دراسته وتعليمه ليتبوأ المراكز السياسية أو الإدارية أو التعليمية العالية أو الاجتماعية، وقد كان من المألوف عند أهل الأمصار الإسلامية أن الشيخ الذي لا يخرج طلبة مشهورين في مجالات الحياة المختلفة يوجه إليه العيب والنقص. فقد حُرج ابن يسام في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" كثيراً من الشيوخ الذين حملوا الرسالة وأدو الأمانة من بعد، حيث شملت كافة مناحي الحياة المختلفة وبقوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

وبسبب الارتباط الوثيق بين المؤسسة التربوية ممثلة بمدريسيها وطلبتها والمجتمع كانت النتائج طيبة الأكل ثمارها دانية القطوف، وآرفة الظلال، بل امتدت رسالتها إلى ميادين الحياة العامة، وجعلتهم يشاركون المؤسسة التربوية في نشاطاتها، وسماع كلمتها واحترافها وللباحث الندوي (١٩٨٢) رأي في إظهار الارتباط الوثيق بين المؤسسة التربوية والمجتمع، حيث رمز للمؤسسة التربوية بأنها ذات المؤثرات الداخلية بالنسبة للدارس، والمجتمع بأنه ذو المؤثرات الخارجية بالنسبة إليه، فيقول: "إن النتيجة ستكون أضحى وأعظم وأدعى للدهشة والاستغراب، إذا تعاونت العوامل المؤثرة في تكوين السيرة وتثقيف العقل وسبك الخلق أكبر تأثيراً، وأزيل التناقض الذي يعانيه المسلمون في كل بلد، فلم تكن فجوة بين مراكز التعليم التي تنحصر داخل جدرانها، وبين الحياة التي تموج موج البحر، فلا يؤتي التعليم ووسائل التربية أكلها، ولا تحقق أغراضها إلا إذا كان هناك انسجام كامل، وتعاون وثيق بين هذه المؤثرات الخارجية والداخلية، وكانت تسير على خط واحد وإلى غاية واحدة" وتشجع المدرسة الحديثة خروج الطلاب إلى الطبيعة والحقول وزيارة المصانع والمؤسسات الاجتماعية

والاقتصادية والمتاحف والمواقع الأثرية، فتنظم الرحلات المدرسية داخل البلاد وخارجها، وتشجع الحياة الكشفية، كما توثق الصلة بين البيت والمدرسة والمجتمع وتنظم لقاءات خاصة واجتماعات دورية لتأكيد هذا الهدف وتعزيزه.

انطلاقاً من هذه الرؤية فعلى المؤسسات التربوية أن تعمل على توثيق الصلات مع المجتمع المحلي، ومشاركة الطلبة والأساتذة في جميع المجالات الثقافية والسياسية والإدارية والتربوية على نحو ما تمثلته التربية الإسلامية، وهذه الدعوة تطبق الآن في "اليونسكو" من خلال جعل المدرسة وحدة تطوير تربوي يشترك فيها مجتمع المدرسة والمجتمع المحلي في إعداد البرامج التربوية المختلفة.

المعلمون ذوو الثقافة والمعرفة:

حظي المعلمون في التربية الإسلامية بمكانة رفيعة ومرموقة بين أفراد الشعب، فاقت في كثير من الأحيان ما بلغه آخرون من سمو وعن طريق نسبهم أو مكانتهم الدنيوية. كما أبدى المسلمون اهتماماً خاصاً في تلقي العلوم عن المعلمين مباشرة حين كرهوا تشيخ الصحيفة؛ ومن هذا المنطلق كان المستوى العلمي والثقافي للمدرسين عالياً، وتم التحدث عن نوعين من المدرسين، أولهما ذوو الثقافة الموسوعية الذين ألموا من كل علم بطرف، وثانيهما المعلمون المتخصصون في شتى العلوم اللسانية واللغوية.

وفيما يخص المؤهلات والصفات المطلوبة توفرها في المعلمين في التربية الإسلامية، فقد حددت في اثنتين: الأولى أن يكون عالماً، والثانية أن يكون متديناً. ومن القضايا التربوية الأخرى في مجال الحديث عن المعلمين إدراك المدرسين لمسألة التأهيل التربوي؛ ذلك أن التعليم صناعة تحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس، وعلى الصعيد العربي أشارت المادة العاشرة من ميثاق المعلم العربي الذي أوصى عام (١٩٦٨) إلى ضرورة أن يعمل المعلمون العرب على أن يكونوا مثلاً صالحاً في الأخلاق والتحصيل العلمي.

إن المقارنة بين نظرة العلماء المسلمين ونظرائهم التربويين الغربيين، فيما يخص خصائص المعلم الواجب توفرها فيه، تظهر نقاط التقاء ونقاط اختلاف وتباين في الوقت ذاته، ذلك أن الصفات الدنيوية غير مدرجة في حسابات الغربيين، وقد كانت جلية واضحة على مسار التربية الإسلامية، فمن الدراسات التي تتحدث عن الخصائص

الواجب توافرها في المدرسين من الوجهة الغربية، دراسة هاسكفيتش (٢٠٠٧)، يفضلها المتعلمون في المعلمين التعاون، والعطف، والصبر، والاهتمام بمشاكل المتعلمين، وروح الدعابة، والمرح، والكفاءة في التدريس، وعدم التناقض في التصرفات، ونشرت منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة (اليونسكو) عام (١٩٦٦) كتاباً بعنوان "What Makes A Good Teacher" جاء فيه أن المعلم الناجح بحاجة إلى مجموعة من الصفات منها: الغزارة العلمية، والثقة بالنفس، والقدرة على استخدام التقنيات التربوية، ومواكبة البحث العلمي في مجال التخصص.

إن نظرة فاحصة فيما تم تناوله حول وضع المدرسين في التربية الإسلامية والتي انبثقت من مفاهيم العدل والمساواة، والصدق، والتواضع وغيرها، وما ذكر حول تربية المعلمين من وجهة نظر أمريكية تظهر بلا شك اشتمالية التربية الإسلامية - من قرون عديدة سلفت - على الصفات الواجب توافرها في المدرس في القرن الحالي، دون أن تشير المناهج الحديثة إلى الجانب الروحي أو الديني؛ لأن الفلسفة التربوية الأمريكية العلمانية تفصل الدين عن شؤون الحياة والدولة كافة، وفي هذا الفصل الخطر كل الخطر؛ لأن فلسفة التربية الإسلامية تولي الجانب الديني أهمية بالغة.

فالمتمتع في المجالات الثقافية في التربية الإسلامية، يجد أنها تعرضت بالذكر إلى غالبية المقررات والعلوم المعروفة آنذاك، وكان الآباء يرغبون في أن يمتلك المعلم أكثر من علم واحد؛ لتوكل إليه مهمة العناية بالأبناء. وبدراسة نماذج من المؤدبين والعلماء القدامى يتبين أن جلهم كان على درجة عالية من الثقافة والعلم؛ فابن رشد كان عالماً بالفلسفة والفقه والطب، وابن عبد البر كان محدثاً لغويّاً فقيهاً مريباً، فلا عجب والحالة تلك أن يطلب ولي الأمر من المؤدب أن يقوم بتعليم ولده أكثر من مقرر ومادة، فإتساع ثقافة المعلم، وتملكه لأكثر من علم واحد كانت الصفة الغالبة على معلمي التربية الإسلامية، إضافة إلى أن سعة المعرفة وتنوعها كانت تعطي صاحبها بحظوة لدى العامة والخاصة، الأمر الذي زاد من التنافس على تحصيلها .

أما في العصر الحديث فقد بات العالم الموسوعي ندرة في هذا الزمان، فالملاحظ ميل المعلمين والطلبة إلى التخصص في العلوم بل والتخصص الدقيق المتحدد فيها،

ويرجع السبب في هذا إلى سرعة تفجر المعرفة واستهلاكها، وعجز المناهج المدرسية عن مواكبات التحديات أو مواجهة التحديات المتسارعة، بحيث تم التحول من التركيز على التفاصيل والجزئيات المعرفية إلى التركيز على المفاهيم، أو البنية الأساسية للمواد الدراسية، والاهتمام بطريقة التفكير وأسلوب البحث، ومهارات تحصيل المعرفة ونقدها والاستفادة منها، أي تحويل البيانات إلى معلومات منتجة، ويتم تحصيل المعرفة اليوم بصورة ميسرة للجميع بدخول وسائل التكنولوجيا الحديثة وتطورها كالحاسوب وشبكة الإنترنت، وما يستجد من غير ذلك (حسان، ١٩٨٣).

ويمكن صياغة أهم واجبات المعلم، وما يجب أن يقوم به وفق ما يمكن أن يستفاد من التربية الإسلامية في الجوانب الآتية:

١. وعي المعلم بالأبعاد القديمة والحديثة لثقافة مجتمعه دراسية: فلما كان المعلم في التربية الإسلامية - بوصفه الشخص المندوب عن المجتمع - مكلف بتربية الناشئة من الدارسين، عارفاً بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، في تعليم أبناء المسلمين، مدركاً للقيم والأفكار والمثل الإسلامية، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فإن من واجب المعلم المسلم في التربية الحديثة أن يكون واعياً ومدركاً كذلك للفلسفة التي تقوم عليها التربية بشكل عام، فضلاً عن أن يكون واعياً بأهداف المجتمع العربي الإسلامي، ومؤمناً بتراته العريق المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية، عارفاً بالتحويلات الخطيرة التي يمد بها المجتمع، محيطة بما يحدثه التقدم العلمي في مجال اختصاصه من تغيرات وإضافات، سواء في التراكيب الاجتماعية أم الثقافية.

٢. وعي المعلم بأدواره ومسؤولياته وفن التربية: يمكن ملاحظة أن المعلم في التربية الإسلامية كان واعياً بأدواره ومسؤولياته عارفاً بطبيعة طلبته؛ وذلك لكي يتمكن من التعامل معهم بناء على مستواهم العلمي، ودرجة ذكائهم، ومقدرة تفكيرهم، كما أشارت إليه التربية الإسلامية إلى ضرورة معرفة فن التربية، وعليه فإن المعلم الصالح ليس هو القادر على توصيل المعلومات أو المادة الدراسية إلى عقول طلبته بكفاءة عالية فحسب، إنما هو مطالب بأن يكون المربي والموجه والرائد والقائد الفكري والعملية ويؤهل طلبته ويمكنهم من قيادة المجتمع بعد

توليفهم زمام الأمور إلى حياة متطورة تحددها أطر فكرية جديدة قوامها الدين والعلم والخطط اللازمة للتنمية مع الإيمان الصادق بالقيم الروحية والخلقية. ومن واجبات المعلم - مهما كان تخصصه التفقه في الدين، ونقل ما تعلمه إلى تلاميذه إقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (البخاري، ١٩٨٩)، وقوله: "من أراد الله به خيراً يفقه في الدين" (مسلم، دت). كما أن من أهم واجباته احترام ميثاق المعلم ومراعاة آداب المهنة وأخلاقياتها. فمن خلال هذين الواجبين، يمكن خلق المدرس الصالح ذي الثقافة الموسوعية العالية، الذي تتوفر فيه الأهلية اللازمة للجلوس على مقعد التدريس، وخلق جيل مسلم تربي على الموائد القرآنية والنبوية والعلمية، ولربط الحاضر بالماضي يمكن تصور كثير من صفات المعلم وأدواره، ومهامه المعاصرة والتي يجب أن تركز على برامج إعداد المعلمين في كليات التربية في الجامعات العربية والإسلامية للقيام بدورها في مجال إعداد المعلم، وهي كالاتي:

أ. تتطلب مهمة التعليم مستقبلاً معلماً واسع الأفق، متفتح الذهن، رحب الرؤية، يستطيع أن يتفتح على العالم بكل معطياته الحضارية لينهل منها، ويثري فكره من عطائها، وهذا يتطلب أن يكون المعلم طموحاً دعوياً، مثابراً، صبوراً في تحصيل المعرفة، لا ينال منه اليأس والإحباط.

ب. أن يتصف المعلم بالتمكن من مجال اختصاصه، وإتقان المهارات والكفايات المنوطة به.

ج. أن يكون المعلم قادراً على مساعدة الطلبة على اكتساب القدرة الفنية، وعلى توظيف أدوات التقنية المتاحة للحصول على المعرفة العلمية، وتنظيمها وتحليلها واختيار الملائم لها.

د. أن يكون المعلم قادراً على اكتساب قيم التعاون مع الآخرين في مجالات العمل، خاصة فيما يخص البحث العلمي الإجرائي.

ه. أن يكون قادراً على إقامة علاقات وطيدة مع أولياء الأمور، ويستفيد من خبراتهم، ذلك كون العملية التعليمية ستقوم على حل كثير من قضاياها ومشكلاتها.

و. أن يكون المعلم طموحاً للوصول إلى المراتب العلمية، ويتبنى الاتجاهات والقيم التي تعينه على تطوير نفسه مهنيًا، ويدرك أنه في حاجة مستمرة للاستزادة من التعليم والتدريب، ولعل ما تعانيه الكثير من أنظمة التعليم الحالية في البلاد العربية والإسلامية، هو وجود فئة من المعلمين غير الراغبين في النمو المهني، ويشكلون عائقاً كبيراً في سبيل تطوير العملية التعليمية.

وهنا يجب التأكيد على أن التدريب المستمر هو الأساس المتين لإيجاد المعلم الجيد، بحيث يشاع لدى المعلمين أهمية التدريس المستمر للتطوير المهني، وأن ترتبط ترقيات المعلمين الأكاديمية والإدارية والقدرة والكفاءة التي يحققونها في مجال التدريس، أضف إلى ذلك أن برامج تدريب المعلمين يجب أن تكون وثيقة الصلة بحاجات فصلية للمعلم، وهذه الحاجات متعددة بفعل كثير من العوامل والاتجاهات المرتبطة بالعملية التعليمية، فهذه البرامج يجب أن تتسم بالتجديد والثبات.

الطلبة محور العملية التثقيفية:

كان الدارسون في التربية الإسلامية يشكلون أحد المحاور الأساسية في العملية التثقيفية فمن أجلهم أسست المعاهد التعليمية والتربوية، ومن أجلهم قام المدرسون بمهام التثقيف والتعليم التربوي. إن هذه الإمكانيات المتعددة وهذه الجهود الضخمة التي تبذل في شتى المستويات لصالح المتعلم، فلا بد أن يكون لها عائد، كما لا بد أن تترجم إلى الإعداد السليم والصالح للدارس في المجتمع الإسلامي، والشامل لجميع نواحيه ومناحيه، ومقومات حياته وعقله وجسمه وروحه ومعارفه ومهاراته واتجاهاته وسلوكه؛ وذلك لتهيئته للحياة النافعة المثمرة الإسلامية في المجتمع الإسلامي الكبير.

وفي التربية الإسلامية كانت العوائد جد عظيمة، فقد أنجبت الكتاتيب والمساجد والمدارس طلبة أفذاذ تبوءوا مقاعد شيوخهم بعد وفاتهم، فكانوا أعلام عصورهم ونجباء أزمانهم، وإنه ليمكن أن يستفاد من ذلك في مسألة توجيه الطلبة نحو ميولهم

ومواهبهم يعد أمراً مهماً ذلك أن الطالب يقبل على ما يحبه ويميل إليه من علوم، فأكثر من طالب وجه تجاه علم معين وهو غير محب أو راغب فيه.

وقد أيدت التربية البراجماتية ما جاءت به التربية الإسلامية بضرورة اعتبار المتعلم محور العملية التربوية، ومن هنا وجب مراعاة ميوله واهتماماته وحاجاته، وهدف التربية في نظرهم مساعدة المتعلم على تنمية استعداداته وقدراته، وترى هذه الفلسفة أن الطبيعة الإنسانية مرنة وطبيعية وأن التربية تستدعي التطور الكامل للفرد، وعلى التربية تربية المتعلم على اعتباره كائن اجتماعي إيجابي مبتكر مبدع، ونموه نمواً طبيعياً تستلزم اتصاله بالآخرين (القضاة، ١٩٩٨).

وعليه يجب على التربية العربية الإسلامية المعاصرة، أن تعطي كل متعلم الفرصة المناسبة التي تمكنه من التعليم بالطريقة التي تؤهله قدراته وإمكاناته لها، ويفضي هذا تقديراً من كل معلم أن يلم بطاقت هذا المتعلم وإمكاناته والمدة الزمنية اللازمة للتعلم، ومن المهم الإشارة إلى وجود استثمار كل وقت المتعلم في المدرسة والبيت في تعلم مثمر يرتبط باحتياجاته العقلية والاجتماعية، ويتم هذا التعاون الفعال مع أولياء الأمور وتهيئتهم لتبوء دور فعال في العملية التعليمية التعلمية. ومن هنا وجوب تفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية التعلمية، ليتحول القول إلى سلوك وواقع، فالمتعلم الذي يقرأ، ويسأل، ويجرب، ويبحث، ويتفاعل مع الأشياء، ويحلل ويفترض، هو المتعلم الذي يجب أن يتم بناؤه، وتوفير المناخ التعليمي الملائم له، ومراعاة استعداده وتوفير المتعة في مضمون التعلم وطرائقه، وتوفير خبرات تعليمية تتيح له فرصاً ثرية للتعلم.

كما يمكن القول ومن خلال ما تقدم، أن التربية الإسلامية تميزت بالتححرر من التسييس التربوي، وهذا يدعو إلى تحرير المؤسسة التربوية العربية والإسلامية المعاصرة من التسييس والتحول إلى نمط فكري يتمركز حول المتعلم، فيكون موضوع الدرس العلمي وغاياته "المتعلم" مثلما كان القرن التاسع عشر عصر الأيديولوجيا السياسية والاجتماعية، وكان القرن العشرين عصر العلم والتحليل العلمي، فسيكون القرن الحادي والعشرين عصر ما بعد المعاصرة، وفيه سيلعب ذكاء المتعلم الدور الأكبر في إعادة تصميم النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والمتعلم هو صانع ذلك كله.

أما الاستفادة من التفكير في التربية تفكيراً لا مدرسياً؛ فهذا يدعو أن تكون مسؤولية التربية تعظيم حرية العقل لدى الأفراد بلا حدود.

العلاقات بين الأساتذة والطلبة:

لقد أرسّت التربية الإسلامية تقاليد راسخة في تحديد العلاقة بين قطبي العملية التدريسية قامت على الاحترام المتبادل بينهما، حيث إن المعلم يعتني بمصالح الطلبة وحاجاتهم ويحنو عليهم ويحسن إليهم، بل ويصبر على جفاء قد يصدر منهم، وفي الوقت ذاته صورت كذلك آداب المتعلم في علاقته بمدرسه من حيث إجلال المعلم، ومعرفة حقه وعدم نسيان جميله وفضله، كما أن علاقات المدرسين بطلبتهم لم تكن محصنة في بروج عاجية، حيث تجاوزت تلك العلاقات إطارها التقليدي الضيق المنحصر في المادة التعليمية، والفصل الدراسي؛ إلى الإطار الأوسع الذي يضم العلاقة الاجتماعية والأخوية في جميع مجالات الحياة الثقافية فضلاً عن العلاقات العلمية، وقد لوحظ أن التربية الحديثة تنزع هي الأخرى إلى أن توفر بيئة تعليمية سليمة للمتعلم، وبين الطلبة أنفسهم من جهة أخرى، وترى بأن الطالب يجب أن يشعر بأن أساتذته يبتغون الخير له، ويبدلون جهدهم لجعله سعيداً.

وقد دلت الدراسات التربوية أن التلاميذ يستجيبون استجابة وجدانية لخصائص المعلم، وتؤثر هذه الاستجابة في أحكامهم على فعالية التدريس، وتؤكد بحوث "هارت" و "ليدز" سنة (١٩٧٣) على أن التلاميذ يقدرّون في المعلم: المهارة في التدريس والعدل، والصبر، والمرح، والفهم القائم على التعاطف، والاهتمام بهم، ورغبته في معاونتهم، والعطف عليهم، ولاهتمام بمشاعرهم، ومن ناحية أخرى، فهم لا يحبون المعلم المتسلط، سريع الانفعال، ولا يحبون المحاباة والعقاب، وتردده في الشاء على الأداء الطيب لتلاميذه. وفي دراسة قام بها الباحث أبو حطب سنة (١٩٧١) على عينة من التلاميذ المصريين في مراحل تعليمية مختلفة، خلص فيها إلى أن المعلم الذي يتميز بدفاء العلاقة مع تلاميذه وفهمهم فإنه يشبع حاجات الانتماء لديهم، وقد كانت هذه النتيجة أكثر صدقاً مع أطفال المرحلة الابتدائية، الذين يجدونه في المعلم بديلاً عن أحد الوالدين، ومصدر التقبل.

ولعل من أسباب توطيد العلاقة بين الأساتذة والطلبة في التربية الإسلامية أنها لم تكن علاقة رسمية شكلية تنتهي بانتهاء المحاضرة أو الدرس، لكنها كانت صلة روحية أصيلة ورابطة نفسية ترمي إلى تهذيب القلوب، وتربية النفوس، قبل حشو العقل بالمعلومات والحقائق الصماء؛ ولذلك كان الأستاذ يجعل من بيته - إلى جانب المؤسسات التربوية - معهداً ثانياً يكمل فيه رسالته التربوية، ويستقبل طلابه في رحمة وتواضع وإخلاص واحترام، الأمر الذي جعل الطلبة يزدادون تعلقاً بأساتذتهم إجلالاً لهم، وحرصاً على الاستماع لدروسهم، وتنفيذ طلباتهم، والانتفاع بتوجيهاتهم (النباهين، ١٩٨١).

ويمكن القول، أن النموذج الفريد الذي صورته التربية الإسلامية بشكل خاص يعد دعوة مفتوحة لكل العاملين في حقل التربية والتعليم في البلاد العربية والإسلامية - سواء أكانوا إداريين أم أكاديميين في المدارس أم المعاهد أم الكليات أم الجامعات - ليتبنوا هذه الطريقة في التعامل، خاصة في هذا العصر الذي تطفى فيه المادة من جهة، وتواجه فيه التربية أزمة تربوية، يكاد التربويون يجمعون عليها من جهة ثانية؛ ذلك بأن توفير جو المحبة والود والتعاون بين المدرسين والطلبة يعد من أهم أسباب نجاح العملية التربوية على الصعيدين صعيد المدرسين في نجاحهم بالقيام بمهمتهم خير قيام، وصعيد الطلبة في تفوقهم الأكاديمي المنتظر. وبذلك تتفق التربية الحديثة مع التربية الإسلامية حين تطالب بضرورة وجود الاحترام المتبادل بين كلا الطرفين، المعلم والمتعلم، وتعد العلاقة بينهما من العوامل المؤثرة في النظام والانضباط المدرسين وبالتالي زيادة أو تدني التحصيل العلمي للمتعلم.

مناهج التثقيف :

ارتبط مفهوم المنهج التعليمي عند المسلمين بالبيئة الاجتماعية لعصرهم، حيث كان على المنهج الدراسي أن يهيئ الصبيان للحياة الاجتماعية المستقبلية، وذلك ببيان قيمة العلوم الواجب معرفتها في نظر الصبيان، وإبراز وجه أهميتها وضرورتها في عقولهم، ثم تنمية المذاهب الفردية التي تلائم المطالب الاجتماعية. فضلاً عن كونه ذا طابع ديني، لأن المعاني الدينية وتهذيب الأخلاق غدت هدفاً من الأهداف في المنهج الإسلامي مهما كان مضمونها الثقافى، سواء أكان المدرس يعلم اللغة وعلومها أم

التاريخ أم العلوم الطبيعية. وإذا تم إجراء مقارنة ما وجد عند المسلمين من هذه الناحية مع وظيفة المنهج في التربية الحديثة والمنهج العصري المتمثل في إبراز القيم الاجتماعية في شعور الفرد، وتحفيز المواهب الفردية وتمييزها، وإعداد الفرد للحياة (Butts, 1995) وجدنا أن مفهوم الأصالة قد تحقق عندهم رغم الفارق الزمني السحيق. وعلى الرغم من غلبة الصبغة الدينية لم يتخلف المنهج الدراسي عن الدوران حول هذه البيئة ويهيئ الصبيان لهذه الحياة، إلى جانب الإعداد الحياتي للطلاب، وبعبارة أخرى فهم المسلمون أن هدف التعليم هو من أجل الكمال الإنساني الذي غايته إرضاء الله عز وجل؛ ومن ثم السعادة في الدنيا.

ومما تميز به المنهج في التربية الإسلامية أنه تمتع بشيء من المرونة، مما يسمح للمعلم إضافة أو تصميم بعض الإجراءات العملية داخل حلقة الدرس؛ إذ إن المنهج يحدد الأطر العامة التي ينبغي على الدارس تعلمها. أما الحدود التفصيلية، فللمدرس أن يلعب دوره فيها؛ وذلك لخبرته وعلمه واتصاله بحاجات الدارسين ومستوياتهم، إن هذه الإشارات الإسلامية لها ما يبررها في التربية الغربية بل هم يشدون على الأخذ بها، فقد جاء في كتاب "مرشد المعلمين البريطانيين"، اقتراح وزارة التربية بأنه بدهي أن مساعدة الطفل في ملك ناحية اللغة من عمل المدرسة جميعها يتضافر في ذلك جميع المعلمين فيها، ذلك أن اللغة هي الأداة التي بواسطتها يمكن تعليم الطفل وتربيته، وإن من مسؤولية المدرسة على وجه الخصوص أن تجعل الطفل يتكلم بدقة وطلاقة وحيوية، وتتأكد أن ما يعبر عنه في الكتابة يؤدي إلى الأفكار والمعاني المقصودة بصورة مضبوطة منظمة. أن على المدرسة إطلاق المواهب والقدرات لتميزها، كما ترى أن وظيفة التربية تدور حول مشكلات المجتمع وتحسين مستوى المعيشة، لذلك يجب أن يوازن المنهج بين احتياجات الفرد واحتياجات المجتمع (Jonston, 1995).

وبذلك تلتقي مناهج التربية الحديثة مع أفكار التربية الإسلامية حول طبيعة المنهج وضرورة أن يكون مرناً على مبدأ تقسيمه على مواد منفصلة، فالمنهج في نظرهم مرتبط بالحياة الاجتماعية ويجب أن يشمل على النشاطات التي تؤهل الفرد للحياة الاجتماعية من خلال تلبية مطالبهم وحاجاتهم وتمييز إبداعاتهم، ويرى أصحاب الاتجاه

الديمقراطي أن المناهج يجب أن يعمل على احترام شخصية المتعلم والإيمان بأهمية دوره في المجتمع من خلال إثارة اهتمام المتعلمين في كل الاتجاهات والمناشط لتنمية قدراتهم. ويلاحظ أن المناهج التثقيفية الإسلامية قد حوت قيماً عالمية سليمة ترجمت إلى سلوك فعلي، ثم نشر في الأرض فأعطى المجتمعات الأخرى حلولاً لمشكلاتها، وهذا أدنى إنتاج يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامي للثقافة المعاصرة وإن كان على العرب والمسلمين أن يدخلوا مرغمين أو مختارين العولمة بكل أبعادها ومجالاتها، فإنهم مطالبون بأن يدخلوها مسلحين بالقيم الإسلامية الراقية التي انبثقت من المناهج الإسلامية، والتي يمكن إشاعتها بين دول العالم جميعها.

ولربط الحاضر بالماضي فإن الواقع الإسلامي المعاصر بحاجة ملحة لتصميم منهاجاً يقوم على ما يلي:

أولاً: تفتيح عقول الناشئة على دور الكفاية المعرفية، والتي يمكن بلورتها في ضوء الحاجات المعاصرة في أربع كفايات أساسية هي:

- القدرة على التفكير وحل المشكلات.
- تحويلات إبداعية في الإنتاج الصناعي والتكنولوجي.
- ثروة لغوية غنية فنية مبنية على فهم عميق للغة والأحوال الإنسانية التي تمثلها.
- تدريب جيد على تكنولوجيا المعلومات والاستفادة منها وقراءة العالم قراءة صحيحة.

ثانياً: إتباع أسلوب الدمج لتضمين القضايا المعاصرة في المناهج القائمة، بعد تحديد مضمون كل من هذه القضايا ومحتوياتها؛ بما يتفق ومعطيات البيئة المحلية، مع ترك حيز لاستيعاب المستجدات في هذه القضايا، بحيث لا تكون معالجتها جامدة متحجرة عند لحظة بناء المناهج التثقيفية.

ثالثاً: الانتباه إلى منزلق ازدحام المواد وتراكمها، بحيث لا تحشو في المناهج مواد عسيرة التطبيق لا تتسع لها الساعات المخصصة للتدريس، إذ ينصب التركيز على الاعتدال في تحديد الموضوعات التي تحقق الأهداف بأقصى استثمار للوقت.

رابعاً: عدم التسرع في الاقتباس بما عند الآخرين ولاقتداء بهم؛ والاقتباس يجب أن يتم في مناخ من النقد والتأمل، فلا يتبنى إلا ما هو منسجم مع الموروث الثقافي، التي أكدت عليه التربية في الإسلام، ومع ما لدينا من قدرات وإمكانات، ومع ما لأبنائنا من تطورات معاصرة.

طرائق التدريس:

تعدد طرائق التدريس في التربية الإسلامية تبعاً للمراحل التعليمية، وإدراكاً لاختلاف طريقة تفكير الصغير عن تفكير الكبير وإدراكه، كما تنوعت بتعدد العلوم والمعارف والمجالات الثقافية، وتعدد المعاهد التعليمية؛ لذلك فقد اعتمد في اختيار طريقة التدريس في الغالب على بعض المحاور التي أجملت من حيث المدرس والدارس والمادة الدراسية والمؤسسة الدراسية والزمن الدراسي.

ويتفق المربي الفرنسي أوبيير (١٩٩١) مع التربية الإسلامية حول الطريقة المناسبة للمرحلة الابتدائية بقوله: "إن الطريقة الوحيدة التي تلائم التعليم الأولي هي تلك التي تسمح بتدخل المعلم والطلاب حيناً بعد حين، والتي تقيم بينه وبينهم تبادلاً دائماً من الأفكار في أشكال متنوعة مرنة، ومرتجة تدريجياً بارعاً، مع اعتماد هذا التعليم قبل كل شيء على الحس السليم، وعلى قوة البداهة وعلى تلك القدرة الفطرية التي يمتلكها الذهن البشري"، وكثير من هذا الرأي - إن لم يكن جله - تمثله مفكرو التربية الإسلامية ويكونون بذلك قد حققوا أصالة تربوية قبل هذا العصر بقرون عديدة.

ويرى المربين في العصر الحديث أن طرائق التعليم التربوية، تساعد المعلم على معرفة الظروف المناسبة؛ لكي تصبح الدراسة شيقة وواضحة بالنسبة للتلميذ ومناسبة لمستواه ووثيقة الصلة بحاجاته حتى يقبل عليها، ويستفيد منها لتنمية قواه وإظهار مواهبه، ودفعه إلى التفكير، فالأساس النظري لطرائق التدريس الحديث تركز على بناءية بياجيه التي تركز على ذوي الخبرة الشخصية في تطوير المعرفة لدى المتعلم حيث ترى فيه مشاركاً نشطاً مع عملية التعليم فهو الذي يبني المعنى من خلال الخبرة، ويطور نظرياته حول العالم الطبيعي والاجتماعي الذي يعيشه (Stofflett & Stoddart, 1994)، ومع ذلك فليس هناك طريقة وأسلوب صالح لكل المواقف التعليمية على حد

سواء وإنما يتحكم في ذلك طبيعة الدرس، وظروف التلاميذ النفسية والبيئية إضافة إلى أن المعلم يلجأ إلى استخدام نوع أو أكثر من طرائف التدريس حسبما يميله الموقف التعليمي والهدف من الدرس.

ومن خلال تتبع الطرائق التي كانت متبعة في التربية الإسلامية يمكن تحديد مجالات الاستفادة منها في الوقت الحاضر بما يلي:

- ارتباط الطريقة بالرؤيا الإسلامية للكون والحياة والإنسان.
- احتلال المعلم محوراً مهماً ومكانة سامية.
- مراعاة نفسية الدارس وحاجاته.
- التوازن بين ما يقوم به المعلم والمتعلم.
- الارتباط الوثيق بالقيم الاجتماعية والخلقية الإسلامية.
- الاستناد إلى نظرة واضحة في المعرفة انطلاقاً من وجهة النظر الإسلامية "القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة".
- المرونة والتطور.
- تنوع أساليب التدريس.

ومن العوامل المؤثرة في عملية اختيار طريقة التدريس تأثراً بالتربية الإسلامية ومفاهيمها الآتي:

١. مناسبة الطريقة لطبيعة المادة وتنظيم المنهج.
٢. مناسبة الطريقة للمواد والتسهيلات من إمكانية كلية ووسائل تعليمية.
٣. مناسبة الطريقة لأهداف الدرس؛ فطريقة تدريس القرآن تختلف عن طريقة تدريس النثر.
٤. مناسبة الطريقة لمستوى نضج المتعلمين ودوافعهم الخارجية.
٥. مناسبة الطريقة للزمن المتاح للمدرس.

الثقافة الشاملة للجميع :

تسعى جميع دول العالم اليوم إلى توفير التعليم لمختلف الشعب، حيث سنت من أجل ذلك التشريعات والقوانين، وجعلت التعليم إلزامياً إلى سن معينة، فتنافرت دولة وأخرى

من أجل الوصول إلى مبدأ "المجتمع المتعلم" ويتفق كل من الفكر التربوي المعاصر والفكر التربوي الإسلامي على ضرورة أن يشمل حق التعلم والتعليم جميع فئات المجتمع بصرف النظر عن الاختلاف باللون والدين والجنس، أو الطبقة الاجتماعية أو الاقتصادية، ففي التربية الإسلامية في مختلف أمصارها اشتمل هذا المبدأ على العديد من الفئات، ومنهم الأطفال وكبار السن والمرأة والفقراء واليتامى وأهل الكتاب وذوي الحاجات الخاصة، فقد طبق هذا المبدأ تطبيقاً عملياً عند (الحكم المستنصر) عندما أقر مجانية التعليم للجميع دون تمييز بين فقير وغني، وأنشأ مكاتب لليتامى أنفق عليهم وعلى معلمهم الهبات.

كما أقر ابن حزم أن يكون التعليم للذكور والإناث وللفقراء وللعبيد، وذلك من خلال توفير مبدأ التكافل الاجتماعي للجميع من خلال الدولة، وفتح أبواب التعليم على مصارعها أمام كل راغب في الدراسة في كل وقت، وكل دار من دور العلم، بدون شرط أو عقبات تعيق سبيل من يطلب العلم. ومن مظاهر الثقافة الشاملة للجميع في الفكر التربوي المعاصر ما يسمى بالمدرسة الموحدة، والتي تهدف إلى تزويد أبناء الشعب بالقدر اللازم من الثقافة، حيث تقوم اعتبارات سيكولوجية في مراعاة الفوارق الفردية، وهي التي تطبق في الدول الديمقراطية والديكتاتورية على حد السواء، بينما يلاحظ أن مظهر المدرسة الموحدة عند المسلمين، تمثل المسجد الذي كان دائماً مفتوحاً للناس جميعاً من غير تمييز بين غني وفقير ورفيع ووضيع، ممن يرغب منهم في الحصول على العلم، وكان ذلك مجانياً دون شرط أو قيد (الخوالدة، ٢٠٠٢).

ومعلوم أن التعليم اليوم مجاني في المراحل المختلفة في المدارس، وخاصة في الدول الأوروبية وأمريكا، إذ لم توضع عقبات أمام طلبية العلم، وإنما مهدت لهم كل السبل والوسائل التي تيسر لهم التفرغ لطلب العلم من مجانية في التعليم، وإقامة في الأقسام الداخلية وتغذية صحية ومساعدات مالية، وانتفاع بما في المكتبات من كتب ومراجع ولا يوجد طبقات في التعليم، ولم تبني مدارس بمصروفات للأغنياء والقادرين، ومدارس أخرى بالمجان للفقراء والمعدومين، وتكاد التربية الإسلامية تتسم بقصب السبق على الفكر المعاصر عندما فتحت جامعة قرطبة في الأندلس أبوابها للدارسين من مختلف فئات الشعب والطلاب الأوروبيين الذين أقاموا فيها سنوات ينهلون من

علومها وثقافتها دون مقابل ويقول "برتراندرسل" (١٩٦٢) "إن النظام التعليمي الذي يتحتم أن يرمي إلى إقامته في المستقبل هو النظام الذي يمنح كل ولد وبنت فرصة لنيل أفضل ما هو موجود والنظام المثالي للتعليم يجب أن يكون ديمقراطياً". ويرى ديوي (Dewy, 1959): أن الديمقراطية هي خير نظام للمجتمع، حيث تتيح الفرص في التعليم لكل مواطن حسب ما تؤهله له مواهبه واستعداداته، وتعطي الحرية للفرد وتجعله مسئولاً عن سلوكه. أما أوجه الاستفادة من التربية الإسلامية في توفير الثقافة الشاملة للجميع، يمكن أن يوجزها الباحث بما يلي:

- توفير مبدأ الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص التعليمية.
 - عدم تقييد طالب العلم بسن معينة أو أشهر محددة، أو شهادات خاصة، أو علامات.
 - أن ينال الطلبة بلا استثناء تعليماً بدرجة واحدة من الجودة، فتمتد الرغبة لدى المتعلم للدراسة ومحبة العلم والشغف بالبحث والعلم تيسرت أمامه وسائل التعلم، وشجع على طلب العلم، ولم تكن المواد الدراسية مقيدة بمنهاج، وكان التعليم واجباً دينياً فرض الإسلام على كل مسلم، ولم يقيد التعليم بأية قيود أو مؤهلات عليمة أو مصروفات مدرسية.
- وهكذا بدت التربية الإسلامية فيها المبادئ الديمقراطية من الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص في التعليم، من غير تفرقة أو تمييز، مما جعلها سابقة على التربية الحديثة في توفير الثقافة الشاملة للجميع.

الرحلة في طلب العلم:

لقد كان شعار طلبة العلم ألا يكتفوا بالمعلمين في بلدتهم أو المدن القريبة منهم، بل عليهم السفر إلى مراكز العلم والمعرفة آنذاك، وهذا الشوق إلى العلم هو الذي أدى إلى شيوع الرحلة في طلب العلم، وقد أتاحت قوافل الحجاج الفرص أمام الطلبة ليتلقوا العلم من العلماء والمسافرين في القافلة، وكان للمسافة التي يقطعها العلماء في طلب العلم دلالة خاصة على أهمية العلم والجد في طلبه ويعد هذا المبدأ ركيزة أساسية عند الأمة الإسلامية، ولشيوعه فقد تأثر به العلماء الذين درسوا آثارها، فهذا المربي "مونتاي" أحد رواد التربية في القرن السابع عشر يحض على الرحلة في طلب العلم أسوة

بالرومان، والمرين المسلمين، والمرين التشيكي " كومينيوس " أحد المرين الواقعين الحسين، ينص في كتابه "التعليم الكبير" إلى رحلة الطالب من سن (١٨ - ٢٤)، وهو في دور التحصيل العالي في لجامعات إلى بلد أجنبي طلباً للعلم (الرشدان، والجعيني، ١٩٩٤).

ومن الملاحظ أن بعض البلاد قد طبقت أسلوب الرحلة واستفادت منه، فقد توسعت اليابان في إرسال بعثاتها إلى الخارج ليحصل أبنائها على علوم الغرب مباشرة، وعلق أحدهم على ممارستهم في هذا المجال فقال: "إن اليابان قد استوردت من الأفكار ما يتلاءم مع تربيتها الحضارية، بحيث جردت الأفكار من أي مضمون اجتماعي أو عقدي" (بكر، ١٩٩٩).

إن هذا المبدأ في العصر الحديث لم يعد منتشرًا بالمفهوم السابق، مع تقدم وسائل الإعلام الحديثة، التي جعلت من العالم بأسره قرية صغيرة، فقد استغنى الكثير من الدارسين والباحثين عن ذلك بتوفر أجهزة الحاسوب والانترنت. أما أوجه الاستفادة من التربية الإسلامية في هذا المجال فيتمثل في:

- أ. ضرورة استقبال طلاب العلم في البلاد العربية والإسلامية من قبل الدولة وتوفير التعليم لهم بالمجان.
- ب. تسهيل الاتصال الثقافى لطلبة العلم في الوقت الذي يختارونه، وعدم الاقتصار على عدد معين من طلبة العلم يحدد مسبقاً بل يجعل الباب مفتوحاً على مدار العام.
- ج. عدم تحديد الزمان الذي يجب أن ينتهي فيه طالب العلم علمه بل يترك حسب اجتهاده.

اقتران النظرية بالتطبيق :

تقوم نظرة الإسلام على المزج بين النظرية والتطبيق العملي والمتبع لتاريخ الإسلام يصل إلى هذه الحقيقة، حيث ترسخت منذ العهد النبوي الشريف، والمسلمون يتعلمون ويطبّقون، ولقد نهج علماء الإسلام منهجاً وسطاً بين العقل والجسم، أو بين الفكر والعمل، وعكس هذا المنهج الأهمية التي أولوها لكل من العلم والعمل، والنظرة المتوازنة، ولخص أحد علماء المسلمين وهو ابن عبد البر العلاقة بين العلم والعمل بقوله:

"كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدث به، ولا يطلبه ليعمل به" (أبن عبد البر، ١٩٩٦).

أما في العصر الحديث، فقد ركزت أهداف التعليم في مختلف المراحل من خلال مناهج المواد المختلفة على ضرورة تمثل المتعلم للقيم والاتجاهات العلمية بصورة وظيفية، بحيث تنعكس على شخصيته وتصرفاته، أي أن التربية الحديثة ترفض صراحة أن يكتفي المتعلم بعلوم نظرية فحسب بل تطالبه أن يمارس ما تعلمه عملياً وعلى أرض الواقع، فالفلسفة البرجماتية - مثلاً - وهي التي تسود في كثير من الدول الصناعية المتطورة في العصور الحديثة، ترى أن الأحكام التي تصدر على أي شيء، إنما تعتمد على نتيجة تطبيق هذا الشيء، وما يحققه من نتائج عملية نفعية لصاحبه، ويذهب أصحاب هذه الفلسفة إلى أبعد من هذا، حين يقدمون العمل على الفكر النظري، من خلال أحد أهم مبادئ فلسفتهم المشهورة والمسمى بمبدأ التعليم عن طريق العمل "Learning By doing" والذي يشيرون به إلى أن الأفكار إنما تنشأ من خلال العمل، وتتطور من أجل سيطرة أفضل عليه، لذا فهم يرفضون استخدام الرموز والمفاهيم دون الاستناد إلى العمل بحجة أنها تكون أفكاراً فارغة.

أما أوجه الاستفادة من التربية الإسلامية في هذا المجال فيتمثل بما يلي:

١. العمل على بناء الشخصية الإسلامية على أساس من الفهم لأسس العمل بكافة أشكاله ودوافعه، ثم تكامل الجانب السلوكي أو التطبيقي مع الجانب النظري، ولهذا مغزى تربوي يفرض على المربين المزاوجة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في الخبرات التربوية التي تمر بها الناشئة حتى تتعمق الخبرات وتوضح الرؤى بالنسبة لهم.

٢. اتخاذ علماء المسلمين قدوة من قبل المدرسين في العصر الحالي في حثهم على ربط العلم بالعمل، والتأكيد على الأبعاد العلمية والتطبيقية في المعرفة الإنسانية بشكل واضح، حيث صنفوا العلوم إلى نظرية ممكن معرفتها ولا يمكن ممارستها، وعلوم عملية ممكن معرفتها وممارستها.

٣. إدراك دور المعلم ومهمته، بحيث يكون وسيلة لا غاية، فالعلم ليس مقصوداً لذاته، وإنما مقصود لأجل العمل، بل العمل أيضاً وسيلة لغاية أخرى هي رضا الله تعالى، فكل علم لا يؤدي للعمل مضيعة للوقت. وبنظرة معاصرة يمكن توظيف مختلف التقنيات المتاحة والاستفادة من كل المعطيات التكنولوجية في العملية التعليمية، فلا يقتصر مفهوم التكنولوجيا على الأدوات والوسائل التي يمكن أن تسهل عملية التعليم والتعلم، بل يتعدى ذلك إلى الطرائق والاستراتيجيات التي يمكن من خلالها تطبيق النظريات والأفكار والمعارف إلى أدوات منتجة يمكن من خلالها تحسين العمل.

مقترحات التجديد في التربية العربية الإسلامية كموجهات عامة للتغيير والمعاصرة:

أظهرت الدراسة مما سبق أن هناك مجموعة كبيرة من المحاور العامة التي تعكس مرتكزات ثابتة وغايات كبرى، ومطالب أساسية للفكر التربوي الإسلامي، والتي يمكن ترجمتها لمجالات جوهرية للتجديد، وجعلها دعائم حقيقية للتغيير والمعاصرة وفي مقدمتها ما يلي:

١. الانطلاق بالأهداف التربوية من فلسفة تربوية إسلامية ذات رؤية شاملة للحياة والإنسان والكون والمنشأ والمصير، والمنبثقة من العقيدة والمجتمع والتقاليد وسلم القيم، والطموحات لأمة إسلامية؛ وكأمة تسعى لبناء مشروعها الثقافي الإنساني.
٢. توفير فرص متكافئة لكل فرد تمكنه من تربية أساسية تؤهله لممارسة واجباته الدينية، وتجعله مواطناً متزناً، شغوفاً بالعلم والمعرفة، يتسم بروح المبادرة والإبداع.
٣. ربط الغاية الكبرى للفكر التربوي الإسلامي بطرائق وأساليب تربية الكفايات، وتنمية المهارات القادرة على النهوض بأعباء التدريب والتأطير، والإسهام الفعال في مسيرة الإنتاج العلمي والتطور التكنولوجي العالمي.
٤. جعل المتعلم محور الفكر التربوي الإسلامي الحالي، وذلك بتمكينه من المعارف والمهارات التي تساعد من جهة على تحصيل شخصيته، وهويته الثقافية

- الإسلامية، وتساعده على التعامل مع روح المعاصرة لاستيعاب مفكراتها العلمية، واستخدامها لمصلحته ومصلحة مجتمعه الإسلامي من جهة أخرى.
5. تعميم التعليم، وتشجيع العلم في المجالات الاستراتيجية الحساسة والإيمان بأن التربية ليست وقفاً على المدرسة بل هي مسؤولية باقي المؤسسات الثقافية الأخرى، وعليه يجب خلق نوع من التلاؤم بين النظام التربوي المقصود، وبين المحيط الاجتماعي الموازي، وذلك بالتركيز على بيئة المتعلم، وعلاقات المدرسة، بكل من الأسرة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة.
6. الانطلاق المعرفي من الأساس المبني على التصور الإسلامي الداعي لطلب العلم والتوسع فيه، بمختلف السبل والطرق والوسائل، واحترام قواعد الحوار والاختلاف، والتمكن من أساليب النقد والاستفادة من كل ذلك في تعزيز القيم الإسلامية وترسيخها في نفوس الناشئة والمجتمعات.
7. الانتقال بالفكر التربوي العربي من مرحلة المبادرات التربوية الفردية التي يعكسها الواقع الحالي إلى مرحلة العمل التربوي الجماعي بحيث يشارك فيه أغلب أفراد المجتمع العربي والإسلامي ويكون هذا العمل محكوماً بالسياق الاجتماعي والثقافي ويؤطره مناخ تربوي تعليمي يتواصل فيه الناس بسهولة ويتجهون نحو الابتكار والإنتاج.
8. بلورة إستراتيجية تربوية يوجهها منطق التحولات والتغيرات المحلية والعالمية بمستجداتها وتحدياتها العلمية والتكنولوجية، وذلك ضمن تصور تربوي إسلامي شمولي يطبعه التماسك والانسجام واستشراف المستقبل، ومن هنا يأتي الوعي بأهمية الثورة التكنولوجية بمختلف مظاهرها المعلوماتية والتواصلية، ودورها الإستراتيجي في الرقي بالفكر التربوي الإسلامي إلى مستويات تحديات القرن الحادي والعشرين.

خلاصة ونظرة مستقبلية:

يتضح مما ذكر أن التعليم الإسلامي العربي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عمليات إصلاح وتجديد شاملين للنظام التربوي برمته من حيث الفلسفة والأهداف والهيكل والبنى والمناهج والوسائل. ولا يكفي أن تصدر القرارات بتعميم التعليم

والزاميته دون أن تعد العدة للتنفيذ لأن تعميم التعليم لا يعني بالضرورة تلافي العجز في الفرص التعليمية ولا تحول دون نشر تعليم أعرج كماً وكيفاً، كما لا تنفي ترسيخ عوامل التفاوت بين الريف والحضر وبين الفئات الاجتماعية، وما يترتب على ذلك من تناقضات هي في الواقع إفرازات لأوضاع اجتماعية واقتصادية كان الأمل في أن يعمل التعليم على إزالتها نهائياً أو على الأقل أن يخفف من حدتها. ونحن إذ ندعو إلى نظام تعليمي عربي إسلامي يقوم على الديمقراطية نعلم أن هذه العملية مكلفة. فلا جدال حول الكلفة العالية للتربية حالياً، خاصة بالنسبة لبعض الدول العربية التي تقع الآن في تناقض كبير بسبب إيمانها بضرورة تعميم التعليم وديمقراطيته وعجزها عن توفير المستلزمات الأساسية للمراحل المختلفة. لذلك نرى أن السبيل إلى تحقيق ذلك هو الإصلاح والتجديد القائم على الأصالة. ومن هنا نرى أهمية التراث كمصدر للأصالة، وبذلك يمكن للتربية العربية تجديد نفسها في إطار ينبع من الواقع ويستجيب لحاجاته دونما انفصام.

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة، وفي سبيل ربط الحاضر بالماضي والانتفاع من كليهما في رسم السياسة التربوية العربية الإسلامية المستقبلية، توصي الدراسة بما يأتي:

١. دعوة الكليات التربوية، والجامعات الإسلامية عامة، والتربية خاصة إلى توجيه عناية طلبتها ومنتسبيها إلى دراسة الفكر التربوي الإسلامي في عصوره، وأماكنه كافة، بشتى الأساليب والمناهج، ولتكن مهمتها في ذلك التعرف على ذلك التراث ثم التعريف به، لتصل بعد ذلك إلى استدعاء الخبرات، ومصممي المناهج، وواضعيها ليقوموا بتوظيف هذا التراث في الحياة.
٢. لما كان النجاح والفلاح حليفاً للتربية الإسلامية في ظلال رحاب المساجد التي كانت عامرة بنشاطات الحياة المختلفة وفعاليتها، توصي الدراسة بضرورة العمل على إعادة دور المسجد ورسالته، فيكون مكاناً للعبادة، ومدرسة لتعليم الناس القراءة والكتابة، وتحفيظهم كتاب الله، وجامعة شعبية مفتوحة تعقد فيها حلقات العلم التي يحضرها الناس بدون أية شروط، وتدار فيها المحاضرات والمناقشات العلمية في مختلف المستويات، ومجلساً للشورى، ومنتدى إسلامياً،

وداراً للقضاء، وداراً للضيافة الوفود، وملجأ لمن لا ملجأ له، فنضمن الأصاله المحافظه والمعاصرة الدافعة نحو الازدهار.

٣. استبدال النظم التربوية الحالية في البلاد العربية والإسلامية بنظام تربوي إسلامي، كما كان الحال في عصور الازدهار الإسلامي، أي نظام تربوي كلي، يحيط بكل ما يقتضيه نمو الإنسان المتكامل، عقلياً وخلقياً ووجدانياً، واجتماعياً، ويشكل اتجاهاته الأساسية نحو الإنسان ونحو العالم وما فيه من أشياء وكائنات ومؤسسات وتتميتها. وهذا الشيء طبيعي لأن الدين في الإسلام ليس من جنس الدين في غيره من الأديان، فلا ينحصر في جانب واحد من جوانب سلوك الإنسان، وإنما الدين كما يراه الإسلام إطار كلي تحيط إحاطة كلية بكل بعد من أبعاد حياة الإنسان، وهو نظام في المعرفة، ونظام في المسؤولية الشخصية، يكتسبه الإنسان وهو على وعي تام بقدراته العقلية، ويكتسبه باستخدامه هذه القدرات استخداماً كاملاً.

٤. الاهتمام بطبيعة العلاقة بين المعلم والتلميذ وتقويتها، بحيث يكون علاقة أبوة روحانية وأخوة إيمانية، كما كان الأمر لدى المرين المسلمين أمثال الغزالي، وابن سحنون، وإخوان الصفا وخلافهم.

٥. تشجيع الطرق الإسلامية القديمة في التعلم من مناظرة ومحاورة وتعلم ذاتي، وعدم الاعتماد التلقين والمحاضرة إلا في نطاق محدود.

٦. التوسع في إعداد المعلمين وأساتذة التعليم العالي عن طريق تزويدهم بالمقررات المختلفة الدينية والعلمية، وعدم الاقتصار على المقررات الدينية وحدها، أو المقررات العلمية وحدها؛ إذ إن المقررات العلمية تدعم الاتجاه الديني في النفوس، وتعمق الشعور الديني والإيمان بعظمة هذا الكون، وما فيه من مخلوقات وموجودات، والخالق الكامن وراء كل هذه المظاهر.

المراجع:

- ١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (١٩٧٨). المقدمة، ط ٣، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ٢) ابن عبد البر، أبي عمر يوسف النمري، (١٩٩٦). جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهري، ط ١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- ٣) أبو شعيرة، خالد، (٢٠٠٦). التربية المهنية في الفكر التربوي الإسلامي وعلاقتها بالفكر التربوي الحديث: عمان، دار جرير للنشر والتوزيع.
- ٤) أبو شعيرة، خالد، (٢٠٠٧). لأثر الثقافى للنظام التعليمى القرطبى على العالم الإسلامى وأوروبا، ط ١، عمان، مكتبة المجتمع العربى.
- ٥) أحرشواو، الغارلى، (١٩٩٤). مظاهر الثقافة العربية وشروط تحديثها، شؤون عربية، ٣، (٧٨)، ٨٧ - ٩٤.
- ٦) البخارى، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٩). الصحيح، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٧) بكر، عبد الجواد، (١٩٩٩). نظم التعليم والشخصية القومية، ط ١، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- ٨) بركات، غسان (٢٠٠٩) دور الفكر العربى الإسلامى فى التربية بين الماضى والحاضر، العلوم التربوية (١): ص (٢٢٩ - ٢٨٠).
- ٩) الجابري، محمد عباد (١٩٩١). قرطبة ومدريستها الفكرية. فى التراث والحداثة، ط ١، بيروت: ص (١٧٥ - ٢٠٠) المركز الثقافى العربى.
- ١٠) جريشة، علي، (١٩٨٦). نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط ١، القاهرة: مكتبة وهبة
- ١١) الخوالدة، ناصر، (٢٠٠٢). الآثار التربوية لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية فى التربية الإسلامية، بحث غير منشور، الجامعة الأردنية.
- ١٢) الدباغ، عبد الرحمن، (١٩٩٥). معالم الإيمان فى معرفة أهل القيرون، ط ١، تونس، المطبعة العربية التونسية.

- ١٣) الرشدان، عبد الله، (١٩٩٣). تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلم الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين، مؤتمة للبحوث والدراسات مجلد ٩ (٣): ٩٥ - ١٣١.
- ١٤) رمزي، هاشم (٢٠٠٥). في فلسفة التربية العربية الإسلامية من منظور مستقبلي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (١): ص(١-١٦).
- ١٥) عاشور، سعيد عبد الفتاح، (١٩٦٣). المدينة الإسلامية وآثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٦) عبد الدايم، عبد الله، (١٩٨١). التربية عبر التاريخ، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين.
- ١٧) عثمان، عبد الكريم، (١٩٧٢). معالم الثقافة الإسلامية، دط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ١٨) العروزي، عبد الله، (١٩٨٣). ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- ١٩) العمشة، خالد، (١٩٩٧). تعليم اللغة العربية في الأندلس، رسالة ماجستير (غير منشورة). كاولامبور: ماليزيا.
- ٢٠) غانم، بسام، (١٩٩٩). الفكر التربوي في نماذج من الرسائل والوصايا الموجهة إلى الأبناء والمؤدبين والمعلمين في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، غير منشورة، عمان: الجامعة الأردنية.
- ٢١) غانم، بسام، (٢٠٠٣). الفكر التربوي عند الذهبي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) عمان: الجامعة الأردنية.
- ٢٢) القضاة، خالد، (١٩٩٨). المدخل إلى التربية والتعليم، ط١، عمان: دار اليازوري العلمية.
- ٢٣) كايد، سليمان تكرروري، (٢٠٠٥). الفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- ٢٤) الكتاني، محمد إبراهيم (١٩٨٣). أثر ابن حزم في الفكر المسيحي. مجلة البينة. مجلد ١ (٢): ١٨- ٢٧.

- ٢٥) الكتوت، عمر، (٢٠٠٣). تكافؤ الفرص التربوية في الإسلام والفكر التربوي المعاصر، رسالة دكتوراه (غير منشورة): الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- ٢٦) الكيلاني، ماجد عرسان، (١٩٩٥). أهداف التربية الإسلامية، حبرنون، فيرجينا: الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ٢٧) مسلم، أبو الحسن، (د.ت). صحيح مسلم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢٨) المسيري، عبد الوهاب (١٩٩٦) النظريات اللغوية المعاصرة وموقعها من العربية - إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية. مجلد ٩ (١) ص (١٩٤).
- ٢٩) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٩٧٧). دور الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط١، عمان: المكتبة الوطنية.
- ٣٠) النباهين، علي سالم، (١٩٨١). نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، ط١، مصر: دار الفكر العربي.
- ٣١) النحلوي، عبد الرحمن، (١٩٩٠). أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط١، دمشق: دار الفكر العربي.
- ٣٢) الندوي، السيد أبو الحسن، (١٩٨٢). التربية الحرة، ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٣٣) يوسف، عبد الواحد، (١٩٨٤). ديمقراطية التعليم في التراث العربي الإسلامي مجلة التربية الجديدة. مجلد ١ (١١) : ٢١ _ ٣٢.

34) Butts, F, (1985). Cultural History of Western Education, New York MC Graw-Hill.

35) Jonston, s (1995). Curriculum Decision Making at the school Level: Is IT Just Acase of Teachers Learning to Act Like Administration Journal of Curriculum Supervision. 10 (2): 136-154

36) Haskvitz, A lan, (2007). Top (11) Traits of agood Teacher Retrieval April, 17, 2007, from.

37) Sto ff Lett, R, & Stoddast, T. (1994). The Ability to Understand and use conceptual change pedagogy as function of prior content Learning Experience, Journal content Learning Experience, Journal of research in Science Teaching, Vol, 31, No. I pp 31-50. □

- 38) Ramzi, Abdul Qader (1996) Islamic Education in the under standing of preat Day muslim Education, the library .p.159.
- 39) Whits, J, (1982). the aims of Education, London: rout ledge and Kegan Punl.

Copyright of Al-Andalus journal for Humanities & Social Sciences is the property of Alandalus University for Science & Technology and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.